موريس برانس

الجاسوسات الفاتنات

دار الكاتب العربي
دار الشوّاف للنشر

الجاسوسات الفاتنات

اغرب قصص الجاسوسية والمغامرات

بقلم الدكتور

موريس برانس

ترجمة

جهاد قلعجي

دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى
١٩٩٢

زائرة نصف الليل

انتصف ليل اليوم الثامن من شهر ايار سنة ١٩٤٢ .. وفي اللحظات التي بدأ يمتزج فيها باليوم الجديد ، احس السفير البريطاني بانقرة بخادمه يوقظه، لينبئه بان ثمة شابة تصر على مقابلته تواً لامر خطـــير ، لا يحتمل ان يرجأ الى الصباح ..

وكان من حق السفير ان يوجس خيفة ، فقد كانت انقرة اذ ذاك مليئة بالجواسيس الالمان وعملاء النازية .. وكانت مركز صراع خفي بين نفوذ الحلفاء ونفوذ المحور .. ولكنه خشي ان تكون الزيارة فرصة قد تعود بنفع على بلاده ، فتسلح بمسدسه ، وسار الى غرفة مكتبه حيث كانت الفتـــاة في انتظاره...

وجلس الى مكتبه ، وخادمه خلفه .. وانقضت فترة كان يتأمل خلالها زائرة منتصف الليل الغريبة ، بعينين حادتين ، متفحصتين .. كانت شابة ، صغيرة السن ، جميلة المحيا ، رشيقة القوام ..

وتنحنح السفير اخيراً ، وقال مبدداً كآبة الصمت :

ـــ هل من خدمة اؤديها للسيدة ؟ ..

وتطلعت الزائرة الى الخادم ، ثم خطت نحو المكتب ، ونثرت عليه كل

ما كان في حقيبتها .. وما كان فيها سوى بضع ادوات للزينة ، ومنديلين وبعض قطع نقدية ، واوراق قليلة ..

وادرك السفير ما عنته الزائرة من حركاتها ، فاشار الى الخادم يصرفه من الحجرة ، ودعا السيدة الى الجلوس في الطرف المقابل من المكتب ..

واذ اطمأنت الفتاة قالت :

ـــ اسمي يوليشكا كورتيز .. وقد جئت اسألك ان تأذن لي بالسفر الى لندن ..

وعاد السفير يتأملها ثم قال :

ـــ اظنك اسبانية ؟..

ـــ اجل .. وقد اختارني الالمان لأتجسس انباء تجارب المدافع الثقيلة التي يشتغل علماؤكم بتصميمها في لندن .. واتفقوا معي على ان انشىء محطة لاسلكية قصيرة الموجة في المنزل الذي سأقيم فيه ، لاوافيهم بالانبـــاء .. وهاك الاوراق ..

واشارت الى الاوراق التي نثرتها من حقيبتها ، فاذا بها رسوم لشرح طريقة اقامة المحطة اللاسلكية وادارتها ..

وعادت الفتاة تقول :

ـــ لقد ارادوا ان اكون لهم جاسوسة ، فقبلت ، ودرست في مدرسة الجاسوسية النازية .. معهد كلوبستوك بهامبورغ.. لا لشيء الا لأجد منفذاً افر خلاله من الجحيم ..

ـــ كان ابي فرناندو كورتيز اشهر جواسيس الالمان في الحرب الاولى..

ـــ آه لقد عرفت بالجزاء الذي ناله من الالمان بعد ان خدمهم ..

ـــ الآن.. التقينا عند نقطة للتفاهم.. لقد اعدموه لمجرد خلاف بسيط بينه وبين رئيسه .. قتلوه بعد ان ادى لهم اجل الخدمات .. فهل ادركت مدى

حقدي عليهم ؟ .

— ولم جئت تسأليني الاذن بالسفر ، وقد زودك الالمـــان ـــ ولا ريب ـــ بجواز ؟

— انني لا اريد استخدام اوراقهم المزورة .. واود ان تعلم المخابرات السرية البريطانية بأمري قبل سفري ..

وبادر السفير بالاتصال بلندن لاسلكياً ، من جهاز خاص بالسفارة ، فاذا لندن تعرف كل شيء عن يوليشكا كورتيز ، وتوافق على ان يمنحهـــا جواز السفر الذي تطلبه ..

وانصرفت الفتاة تحت جنح الظلام كما اقبلت ..

وما ان وصلت يوليشكا كورتيز الى لندن ، حتى اختارت فندقـــاً متواضعاً لاقامتها .. وفي حديقة هذا الفندق وافاهـــا مندوب من ادارة المخابرات السرية البريطانية ، ليفضي اليها بخطة العمل .. فقد قررت الادارة ان تتولى بنفسها اقامة المحطة السرية وادارتها ، لتوفر عليها عناء العمل.. او — بمعنى اوضح ـــ لتطمئن الى ان الفتاة لن تعمل في الخفاء مع القوم الذين تظاهرت بالتمرد عليهم ..

وتولت احدى فتيات المخابرات تسجيل صوت يوليشكا ، ونبراتهـــا ، ولهجتها ،واللكنة الاسبانية التي تتخلل كلامها بالالمانية .. ثم راحت تتدرب على تقليدها حتى تضطلع بنفسها بابلاغ الرسائل التي تعدها ادارة المخابرات للتغرير بالالمان ، دون ان يفطن خبراء الصوت في ادارة الجاسوسية النازية الى ان المتكلمة غير فتاتهم ..

وتم الاتصال بين لندن وبرلين خلال محطة يوليشكا اللاسلكية..وكانت الرسائل تحمل بعض انباء صحيحة عن الجو والاستعدادات والقوات وما الى ذلك ، وقد حشيت باخرى زائفة تفسد على الالمان اي تدبير يستغلون فيه

تلك المعلومات .. كما اعدت رسائل توحي الى النازيين بان بريطانيا تملك قوات كبيرة ، ومعدات ضخمة ، لايقاع الرهبة في نفوسهم ..

وخطر لرجال المخابرات السرية البريطانية ، ان يستغلوا المحطة في معرفة عملاء النازيين في لندن ، والوسائل التي يمولون بها الجواسيس .. فارسلوا خلال الانباء، مرة،رسالة تزعم فيها يوليشكا ان نقودها نفدت .. فأتاها الرد بان ٥٠٠ جنيه انكليزي ستحول باسمها الى بنك سويسري، ليحولها تلغرافياً الى مصرف لندن ..

ولم يرتح البريطانيون الى هذه النتيجة فعادت يوليشكا تتصل ببرلين سائلة العدول عن هذه الخطة ، لما قد يثيره وصول خمسمائة جنيه لمجهولة مثلها من شكوك .. ومرة اخرى كانت النتيجة مخيبة لرجاء الانكليز اذ ارسلت برلين الى يوليشكا — عن طريق سويسرا — مجموعات قيمةمن طوابع البريد النادرة ، تزيد قيمتها على الف جنيه .

وسكت رجال المخابرات حيناً عن المحاولة ، ثم عادوا يطلبون من برلين « باسم يوليشكا » نقوداً .. وفي هذه المرة وكان قد انقضى اكثر من عام على وجود الفتاة بانكلترا — انبئت بان امرأة سويسرية من المتجرات بالمجوهرات ستصل الى لندن بعد ايام، متظاهرة بعرض مجوهراتها في اسواق لندن .. فعليها ان تتصل بها لتتلقى منها حاجتها من المال مع تعليمات جديدة خطيرة ..

واتصلت يوليشكا بالسويسرية، فادلت اليها بتعليمات برلين ، ولكنها لم تعطها مالا .. فقد سطا لص مجهول على امتعتها في الفندق الذي نزلت به فسرق مالها وجواهرها .. واضطرت السويسرية الى المبادرة بالرحيل في اليوم التالي ، وقد ادركت ما وراء السطو من نشاط المخابرات البريطانية.. بينما سعت يوليشكا الى الانكليز الذين كانت تتعاون معهم ، تزجي اليهم

بالتعليمات الجديدة .. فقد طلب اليها الالمــان ان تسعى للحصول على خطط الحلفاء لغزو اوربا ..

وادهش الانكليز ان الالمان طلبوا الى يوليشكا ان تلتحق بعمل في محل لبيع الورد في ميدان الطرف الاغر، لتكون اقرب اتصالا بمواقع العسكريين وثكناتهم .. وكان سر الدهشة ان صاحب المحل ـــ وهو عجوز فرنسي الاصل ، كفيف البصر ـــ كان بحاجة فعلا الى عاملة ، بعد ان جندت عاملته السابقة ، وعز عليه الحصول على غيرها ، فكيف عرف الالمـــان بكل هذا ؟..

عـلى انهم سمحوا للفتاة بالعمل في ذلـــك المحل .. فسرعان ما اجتذب جمالها الزبائن ، وراجت ورود العجوز الفرنسي الكفيف .

وبدأت اذ ذاك مرحلة جديدة ، وخطة جديدة .. فقد بدأ رجـــال المخابرات البريطانية يرسلون الى برلين ـــ عن طريق يوليشكا ـــ انباء زائفة مصطنعة ، عن الاستعدادات الحربية والحشد العسكري وقالوا على لسان الفتاة في احدى رسائلهم :

« ان صبــاحب المحل حزين ، اذ ان له ابناً في صفوف قوات ديغول الفرنسية ، نقل مع فرقته الى ايسلندا » ..

وقالوا في رسالة اخرى :

« لا يضايق الضباط الانكليز والاميركيين المترددين على المحل ، سوى ما يسمعونه عن شظف العيش ، ومتاعب الحيــاة في ايسلندا التي سينقلون اليها قريباً » ..

ووجد الالمان في هاتين الرسالتين مصداقاً لما روّجه الحلفاء من اعتزامهم اتخاذ جزيرة ايسلندا قاعدة لغزو اوروبا .. فبـــادروا الى نقل جيوشهم وعتادهم الى النرويج ، ليستعدوا لصد الغزاة .. وكان هذا عين ما رمى اليه

الحلفاء ، فانتهزوا الفرصة ، وفازوا بهجومهم الناجح على ساحل نورماندي ..

وانقطعت صلة يوليشكا ببرلين عقب الغزو ..

وفي احد الايام ،وجدت المرأة وصاحب المحل العجوز الكفيف ، ذبيحين داخل المتجر .. وراحت شهيدة الجاسوسية .. ولم يعرف احد كيف ذبحت هي والعجوز .. فقد ظل ذلك سراً غامضاً الى اليوم ..

مطاردة جاسوسة يهودية

كانت « روث ويجير » من ربات الحسن والبهاء لا تقع على جمالها الخلاب عين رجل حتى يغدو اسير حبها .

وكانت روث ابنة خياط من « روسيلدووف » قدمت برلين في العام ١٩٢٩ وهي في الثامنة عشرة من عمرها لتمتهن التمثيل على المسرح والشاشة، واخذت تغشى المجتمعات النازية ، فاسترعت بجمالها انتباه غوبلز واهتمامه ، فضمها الى الفرق الفنية المعدة للدعاية ، فارسلت بمهات متعددة الى سويسرا وايطاليا في العام ١٩٣٥ والى هولندا في العام ١٩٣٦ والى فرنسا في العام ١٩٣٧ .

وفي ذات مساء كان الاميرال « كاناري » يتحدث الى « روث ويجير » بعد حفلة ساهرة احياها غورينغ في بيته ، فشاقه ما لمس فيها من جمال واناقة ولباقة وثقافة فقرر ان يجذبها ويدربها ويستخدمها في مصلحته ...

وفي تحقيق الدوائر السرية الالمانية عن اصل « روث ويجير » اتضح انها تمت الى اصل يهودي ، بيد ان هذا لم يقف عند الاميرال « كاناري » حائلاً دون استخدامها في الجاسوسية الالمانية فألحقت بالقيادة العليا في الجيش الالماني ، واذ كانت تتقن اللغة الفرنسية فقد اختيرت لمصلحة « الفرنكريخ »

وسافرت في العام ١٩٣٩ الى فرنسا كلاجئة اسرائيلية دون ان تحمل اية ورقة تدل على هويتها ..

ونزلت بين جماعات اللاجئين الاسرائيليين .. فأمن هؤلاء أسباب العيش لروث ويجير ... ولو كان البوليس الفرنسي اكثر يقظة في ذلك الزمان في مراقبة الاجـانب لعلم ان « روث ويجير » التي تتقاضى ١٤٠٠ فرنك في الشهر كانت تنفق اكثر من خمسة الآف فرنك في كل شهر على المـأكل والمشرب وركوب السيارات ، ولعلم انها ترتاد باستمرار مطاعم « بولفـار سان جرمان » التي يؤثرها الضباط الفرنسيون على غيرها ، كما كانت تختلف الى بيت شهير قـائم وراء قصر البوربون يغشاه الوزراء والنواب لتناول طعامهم ..

وعند اعلان الحرب سلمت « روث ويجير » نفسها الى السلطات الفرنسية بوصفها لاجئة اجنبية فاعتقلتها ، ثم لم يلبث حتى جاء الالمان فأنقذوها !.. ولكن سرعان ما توارت عن الانظار لتظهر بعد حين في الولايات المتحدة ، ثم لتختفي من جديد ..

وفي العام ١٩٤١ انذرت وشنطون « الانتليجنس سرفيس » بخطر هذه المرأة ، فاخذت تبحث عنها طوال سنة كاملة .. وفي العام ١٩٤٢ اكتشفت مصادفة في موناكو ، وكانت لا تزال جاسوسة للاميرال « كاناري » تقبض ثمن كل « رأس » تشي به الى القوات المحتلة خمسة عشر الف فرنك ..

وكانت مهمتها الرئيسية حينذاك ، مراقبة قيادات الطليـان العليـا في فرنسا وما يجري من اتصالات بين الفرنسيين وكبار الضباط الايطـاليين ، وكانت تحاول ، ايضاً ، الحصول على اكثر ما يمكن من اخبار الجواسيس الانكلوسكسونيين والغوليين الذين يعملون في « الكوت دازور » .

وكانت « روث ويجير » تخدم المصالح الالمانية بغيرة وحماسة فعرفت عن

كشب بعض معاوني مندوب « الانتليجنس سرفيس » في « كان » و «نيس» ودفعت بلباقة ومهارة ، الايطاليين ، لمشاكسة الفرنسيين ، وأثارت بعضهم على بعض ، وكشفت عن منظمات سرية للمقاومة فهلكت بسببهـــا ضحايا كثيرة ، وكانت كل اسبوع ، ترفع الى « الغستابو » جدولاً حافلاً باسمـاء ضحاياها لتزيد في ارباحها ويتيسر لها الانفاق عن سعة على كل ماتشتهيه نفسها.

وحين تحققت الدوائر السرية الفرنسية من اعمال هذه الجاسوسة بعثت بتقرير مسهب عن اعمالها الى لندن فجاءها الامر بالقضاء عليها باي وسيلة كانت..

وعهدت الدوائر السرية الفرنسية الى فتى جريء من فتيانهـــا لمطاردة الجاسوسة « روث ويجير » ومراقبتها والقضاء عليها .

وكانت « روث » في تلك الحقبة تقيم بكان ، وقد تخلت عن صيد الرؤوس لتعشق ضابطاً ايطالياً فتلازمه كظله وتصحبه خلال تنقله بين « المارتينز » و«الكارلتون» و«الغران اوتيل» .

ولاحق « الفتى الجريء » « روث ويجير » خمسة ايام متواليات ملاحقة القط للفأرة ، بيد ان الفرصة المؤاتية لم تكن تسنح له للفتك بهـــا ، وكان رؤساؤه يطالبونه ، كل يوم ، بتنفيذ الامر الذي عهـــدوا به اليه ، وكانوا يخشون ان تصرعه مفاتنها فيتراخى امامها ويتراجع عن قتلها !.. الى ان كمن لها ذات مساء في زقاق ضيق بين طريقي « انتيب » و «مونفلوري » وما كاد الليل يتقدم حتى كانت « روث ويجير » تمر على تلك الطريق وهي تنشد بصوت خافت اغنية الحب السميد .. واذا بطلقين ناريين يخترقان سكون ذلك الليل ، ثم يعود الصمت فيخيم على ذلك المكان . وقـــد شاهد « الفتى الجريء » جسماً يهوي على الحضيض ، ثم يفر هارباً لا خوفاً ولكن خجلاً من قتله امرأة ! . .

وفي ذلك المساء نفسه كان الراديو السري يحمل الى لندن خبر مقتـل

الجاسوسة ، وكان على رؤساء « الفتى الجريء » ان يصدقوه في ما رواه عن مصرعها بالرغم من ان دائرة البوليس لم تشر الى وقوع حادثة قتل في تلك الليلة ، وان الالمان المحتلين لم تبد منهم بوادر الغضب والانتقام وقدتوارت عن انظارهم « روث ويجير » !..

ولم يكن ليخطر في بال احد ان « الفتى الجريء » ذلك الصياد الماهر الذي لا يخطىء الهدف ولا تفوته الطريدة ، قد اخطأ هدفه وفاتته طريدته للتأثر الذي ملك عليه صوابه ، ولم يتقدم من طريدته ليتحقق من موتها بل اكتفى بان رآها تسقط على الارض فظن انها ماتت .

والواقع ان « روث ويجير » مـا كادت تسمع صوت الرصاص حتى انطرحت ارضاً لا تبدي ولا تعيد، دون ان تصاب باذى ، وظلت على هذه الحال حتى توارى «الفتى الجريء» فعادت تحمل نفسها الى غرفتهـا وهي تفكر فيمن عساه يكون هذا « القاتل » .. انه ليس لصاً والا مـا فاته الاستيلاء على حلاها وعلى ما في حقيبتها من اوراق نقدية وهي في مثل تلك الساعة من الليل !.. فهل يكون ، اذن ، احد الفرنسيين وقد علم انها تعمل لحساب الالمان ضد أبناء قومه ؟.. او انه ايطالي ادرك انها احدى عميلات الاميرال « كاناري » للتجسس على ابناء بلاده ؟.. او انه « الغستابو » نفسه قد اخذ عليها اهمالها لمهماتها وتعلقها بذلك الضابط الشاب !..

وبعد ان فكرت ملياً ولم تدرك مصدر الخطر الذي يهددها عزمت على اجتـناب جميع الناس . وبعد ان قدرت ما لديها من الجواهر الثمينـة والثياب الفاخرة ، ومن الذهب والاوراق النقدية التي تتجـاوز المئتي الف فرنك ، رات ان تعتزل العمل وان تهجر فرنسا يساعدها على ذلك جواز سفر صحيح . وفي تلك الليلة استقلت بالثمن الفـاحش ، سيارة نقلتها الى

مرسيليا ، ومن مرسيليا الى طولون ، حيث لم تمكث الا ساعـــات قلائل سافرت بعدها الى اسبانيا !.

وفي كانون الثاني من العـــام ١٩٤٦ كان «الفتى الجريء» في ريو ده جانيرو عاصمة البرازيل ، يرافق احدى البعثات التجارية فاذا هو وجهـــاً لوجه امام « روث ويجير » فاعتراه ذهول عجيب ولم يشأ ان يصدق عينيه لاول وهلة ، وما ان عاد اليه روعه حتى دنا منها سائلاً :

ــ يبدو لي ، يا سيدتي ، انني قد عرفتك في مدينة « كان » في زمـان الحرب ، ألست انت السيدة « روث ويجير » ؟!

فأجابته السيدة :

ــ كم ان هذا العالم صغير !... اجل ، لقد قضيت في « كان » زماناً طويلاً ، وكنت اذ ذاك ، الآنسة « روث ويجير » ، اما اليوم فانا السيدة « روث د ... »

ــ انني اهنئك يا سيدتي ، واقدم لك كل احترام !

وكانت جـاسوسة الاميرال « كاناري» الحسناء التي استقرت في اميركا الجنوبية بعد ان نجت من الموت ، قد غدت شخصية كبيرة من الشخصيات التجارية في البرازيل !

المتسكعة في الظلام

اطلقوا عليها « ذات القلب الحديدي »، فسرعان ما طغى هذا القلب على اسمها الحقيقي — كاتلين غرانت — وعلى الرمز الذي اطلق عليها في قوائم ادارة المخابرات البريطانية « ١ — ١٨ ».. وكانوا على حق .. اذ كانت الفتاة تجمع بين اقصى آيات البرود الانكليزي ، والصلابـــة ، والجرأة ، وقوة الجنان .. حتى ان طلقات الرصاص ودوي المدافع لم يكن لهـا من تأثير لديها ، اكثر مما لطنين الذباب ..

وكان لنشأتها اكبر الاثر في تكوين شخصيتها .. انها قصة دامية مؤلمـة من قصص الحرب العظمى الاولى .. فقد ولدت كاتلين من أب انكليزي وام فرنسية .. وكانت في السابعة من عمرها ، تقيم مع اسرتها في ذلك الجزء الصغير من شمال فرنسا الذي اجتاحه الالمان بعد ان اجتازوا ارض بلجيكا في الحرب الاولى .. ورأت الصبية اليافعـــة ، كيف كان الغزاة الغلاظ ، يمسكون باهل قريتها — وبينهم ابوها وامها — فيذبحونهم امام عينيها وأعين الاطفال الآخرين ، او يبقرون بطونهم بسنان بنادقهم ، ثم يلقون بجثثهم في الخنادق ، ويلقون بالاطفال احياء فوقهم ..

وبقي هذا المنظر عالقاً بذهن كاتلين طول عمرها .. ولقد قضت في تلك الخنادق يومين وليلتين ، فوق الجثث والاشلاء ، الى ان قدر لبعض المارة ان يعثروا عليها بعد ان ذهب الالمان ، فانتشلوها .. وارتدت الى الحياة ..

ولكنها لم تعد الصبية المرحة ، الساذجة .. بل تحجر قلبها وانحبست الدموع في مآقيها وانطبعت في مرآة عينيها وعقلها الباطن تلك الصور المروعة التي شهدتها في فجر حياتها .. تحفزها دائماً للثأر والانتقام ..

وعاشت بعد الحرب مع جدتها لامها ، وكانت فرنسية مثرية تملك مصنعاً للشيكولاتة في باريس ، واندمجت في البيئة الفرنسية ، فغلبت فرنسيتها على انكليزيتها في كل شيء .. حتى اذا ماتت جدتها ، ورثتها وخلفتها في ادارة مصنع الشيكولاتة ..

وفي الوقت الذي لاحت فيه نذر الحرب الثانية في الجو ، قدر لكاتلين ان تتعرف — بمحض المصادفة — بكبير من رجال المخابرات البريطانية ..

وتوطدت الصداقة بين كاتلين والرجل ، فلم تلبث ان روت له قصتها الدامية.. واذا به يجد فيها بريقاً من الامل ، يضيء السبيل الى استغلال حقد الفتاة لمصلحة المخابرات البريطانية ، فلم يغادرها الا وقد اتفق معها على خطة للعمل ، لقاء خمسمائة جنيه شهريا ، لا كأجر ، وانما كتعويض لها عما سيضطرها عملها الى إنفاقه من مال !..

وبدأت كاتلين تعاونها مع المخابرات البريطانية باستقصاء اخبار برلين بواسطة عميل لها هناك اسمه فون ليمتز ..

وكانت كاتلين تتبادل معه الرسائل بوسيلة فنية ماكرة .. كان كل منهما يدس رسائله داخل عجينة قطع الشيكولاتة التي ترسلها اليه — بوصفه عميلاً لصنعها — او التي يردها اليها ، بزعم انها تالفة، او ليست من النوع الذي طلبه ، فاذا ما تجمعت المعلومات للفتاة ، صاغتها في قالب رسائل تجارية

تبعث بها الى عميل لمصنعها في لندن ، كان في الواقع من رجال المخابرات البريطانية . وكانت تستخدم في سياق رسائلها رموزاً ومصطلحات اتفقت عليها مع ادارة المخابرات..وهكذا راحت توافي انكلترا بانباء الاستعدادات والتأهبات التي كان يحشدها سلاح الطيران الالماني ، اذ كان لفون ليمتز ابن عم يدير مقصفاً بثكنات جنود هذا السلاح .

على ان تطورات الحوادث ، لم تلبث ان استلزمت اللجوء الى وسيلة اخرى،لتبادل الرسائل . فكلفت كاتلين بان تبعث برسائلها سراً الى السفارة البريطانية في باريس ، لترسل في الحقيبة الديبلوماسية الى لندن .. وامعاناً من ادارة المخابرات البريطانية في الاحتياط ، اصدرت تعليماتها الى السفير البريطاني في باريس بان يضع رسائل كاتلين ضمن ملف خاص الى زميله في مدريد ، ليتولى هذا ارساله — في الحال — الى وزارة الخارجية البريطانية، حيث تتسلمه ادارة المخابرات ..

واشتعلت نيران الحرب ، فرأت ادارة المخابرات البريطانية ان تستأثر بجهود كاتلين ، ولذا استدعتها الى لندن فضمتها الى موظفي المركز الرئيسي وعهدت اليها بمراقبة بريد بعض المشتبه بأمرهم في لنــــدن .. فوفقت كل التوفيق في هـــذه المهمة .. وكان اول انتصاراتها ان كشفت عن مؤامرة خطيرة فضحتها خمس رسائل تجارية من تاجر هندي في لندن الى عميل له في انقرة .. وكانت الرسائل مصوغة في قالب تجاري عملي ، ولكن كاتلين تبينت ان بين كلماتها روابط ، بحيث انها اذا ضم بعضها الى بعض ، كانت تقريراً مفصلا عن الطريق الذي صدرت الاوامر الى الاسطول البريطاني باتباعه في البحر .. وبفضل ذكاء كاتلين،قدر للاسطول ان ينجو من غواصات الالمان.

واتبعت كاتلين نصرها الاول ، بنصر ثان ، يوم وقعت في يدها رسالة من احد هواة جمع طوابع البريد — في لندن — الى صديق له في انقرة ،

ارفق بها صحيفة لصق عليها بعض الطوابع بترتيب رمزي يتسق مع احدى «الشيفرات» السرية الالمانية المعروفة لدى المخابرات البريطانية ، بحيث تدل الرسالة على عدد بعض وحدات الجيش البريطاني .

ثم احرزت نصراً جديداً ، يوم اشتبهت في رسالة من تاجر في لندن الى آخر في «دربان» ـ بجنوب افريقيا ـ جاء فيها : « ستصل والدتي الى الكاب في منتصف الشهر القادم ، اذهب الى المستر مورتو بلغه تحياتي . المستر ادغار مات » .. وترقبت الرد . وما لبثت ان وقعت عليه .. فاذا بتاجر «دربان» يقول : « سنستقبل والدتك . المستر مورتو يبلغك تحياته . خبرني هل المستر ادغار مات ام قتل ؟ »

وكان السؤال الاخير ، بل الكلمة الاخيرة منه ، محققة لاشتباهها ، فاعتقل التاجر اللندني وما لبث ان اعترف بتجسسه لحساب الالمان ..

وفي بحر عامين كانت كاتلين غرانت قد وفقت الى هتك سر ٢١٠ من جواسيس المحور في بريطانيا .. ووضعت كتاباً عن الحيل والوسائل الشيطانية التي اكتشفتها في رقابتها للبريد والبرق ، فصار من اهم المراجع التي تدرس في مدرسة المخابرات .

واذ اقدم الالمان على اجتياح فرنسا ، بادرت ادارة المخابرات الى اعادة كاتلين غرانت الى باريس ، لتستعين بها في الظروف التي كانت مرتقبة ، نتيجة هذا الغزو .. واستطاعت الفتاة ان تصل الى باريس ، وما زال الالمان في الشمال .. فتظاهرت بأنها كانت في رحلة سياحية حول العالم ، واعادت فتح مصنع الشكولاتة ، كما ألحقت به مقهى صغيراً ، استخدمت فيه فريقاً من الباريسيات الحسان .. فأصبح مقصد الضباط الالمان وقبلتهم ، لما اعد لهم من وسائل اللهو .. مما مكن الفتاة الجريئة من الحصول على كثير من

الاسرار الخطيرة ، التي كانت تبلغها الى لندن من محطة لاسلكية سرية ..

ازاء هذا التوفيق ، رأت ادارة المخابرات ان تعهد الى كاتلين بنوع خطير من المهام ينطوي على تدمير بعض المواقع والمنشئات النازية ، ونسف القطارات والمعسكرات ، وقطع اسلاك التليفون ، وغير ذلك من الاعمال التي تعرقل استعداد الالمان لغزو الجزر البريطانية .. وارشدت الادارة فتاتها البارعة الى فريق من رجال المقاومة السرية الفرنسيين ، راحوا يمدونها بالمفرقعات ومواد النسف ..

ونجحت كاتلين كل النجاح في مهمتها الجديدة .. وكان لها في قلبها الحديدي عون على الاقدام والمخاطرة .. فكانت تتسكع في الطرقات في الهزيع الاخير من الليل ، حتى تلتقي بضابط او جندي الماني مخمور ، فاذا ما استوثقت من انه في اقصى حالات السكر ، غازلته حتى يطمئن اليها ، ثم تتطوع بمرافقته الى معسكره ، في سيارة يقودها احد رجال المقاومة الفرنسيين .. وتطول الطريق ما بقي في الضابط الالماني وعي وما شاء له هذا الوعي المخمور مغازلة تلك المتسكعة في الظلام ، ثم تودع كاتلين صاحبها الالماني على باب المعسكر وتعود مسرعة بالسيارة .. ويدخل الضابط او الجندي الى معسكره .. واذ يبدأ في خلع ثيابه ، تنفجر قنبلة زمنية شديدة الانفجار تكون قد دستها في جيوبه ، او في علبة للحلوى اهدتها اليه خلال الطريق .. ويتمزق المسكين .. ويتمزق معه المعسكر ..

وفي ذات مساء ، انتقلت كاتلين مع ضابط الماني من رواد مقهاها اسرف في الشراب ، حتى عز عليه ان ينصرف الى معسكره ، فتطوعت لمرافقته .. وعلى مسافة من المعسكر ، ودعته وعادت الى دارها ، ففوجئت بعدد من رجال الجستابو في ارتقابها .. فلقد خانتها القنبلة التي دستها في جيب ضابطها المخمور

فلم تنفجر الحلل اصابها.. وقدر للضابط ان يعثر عليها وهو يخلع ثيابه، فجزع، وبادر يبلغ الامر لرؤسائه ..

واتجهت الشبهات الى كاتلين بعد ان روى الضابط تفصيلات سهرته معها..

ونقلت كاتلين غرانت الى برلـــين ، حيث حوكمت عسكرياً ، فقضي عليها بالاعدام ..

واخترق رصاص الالمان القلب الحديدي..فلم يعد ينبض بالحياة والنشاط..

صراع جاسوستين في انقرة

كانت انقره ــ يوم تقرر ايفاد ماري تمبلون اليها ــ ميداناً من اخطر ميادين الحرب ، رغم حياد تركيا .. فقد اتخذها الالمان مركزاً لشبكة الجاسوسية التي بسطوها على الشرق الاوسط ، وحوض البحر الاحمر ، واسلموها الى الداهية فن بابن يشرف على توجيهها واحكامها..

وكانت بريطانيا تقود الحلفاء في ذلك الحين .. ولذا كانت كل من السفارتين الالمانية والبريطانية تقف للاخرى بالمرصاد ، تحصي حركاتها وسكناتها في تربص ووعي ..

هذا هو الميدان الذي اختيرت له ماري تمبلون .. وكان لا بد قبل ايفادها اليه من اعداد لاخفاء شخصيتها ، فاستغلت شخصية كونتيس من الروس البيض .. وتقرر زيادة في اتقان الخدعة ، ان توفد الى البرازيل وان تهيأ لها اسباب التجنس بالجنسية البرازيلية ، لتمكينها من ان تتقمص دور ارملة رجل برازيلي واسع الثراء ، رأت ان تتعزى عن نكبتها في زوجها ، بالطواف حول العالم ..

هكذا ابتدعت شخصية الكونتس راجفسكي .. وهكذا تقمصتها ماري

تمبلون او S.3 كما كانت تعرف في سجلات المخابرات البريطانية .

وكان على ماري ان تطوف بعد ذلك بعدد من الدول الاوربية ، قبل ان تصل الى انقره ميدان نشاطها .. . فما ان غادرت البرازيل حتى حطت في اسبانيا ، فقضت خمسة اسابيع تتنقل بين ارجائها كأي سائحة غنية .. حتى انتهى بها الطواف الى مدريد.

وكانت ماري تستشعر السأم ، في غمرة اللهفة الى العمل، لولا ان ساقت اليها المصادفات زميلة تسليها ، في شخص فتاة فرنسية من نزيلات الفندق ، قدمت اليها نفسها باسم «فيوليت ديبون» وروت لها انها ابنة صاحب معمل للنبيذ في بوردو ، وقد اصيبت بتضخم في الكبد، وجاءت اسبانيا للاستشفاء.

وطابت للكونتس صحبة الفرنسية.. ولكنها ما لبثت ان لاحظت ان الفتاة تغيب عن الفندق طول نهارها ، فلا تبدو الا في المساء ، حين تشاطرها العشاء ، ثم تسمران ساعة او بعض الساعة قبل ان تأويا الى فراشيهما ..

واستبد الفضول بالكونتس ، حتى دفعها يوماً الى سؤال الفتاة عن سر تغيبها طول النهار ..فقالت الفتاة :

ــ أتعاهدينني على ان تكتمي السر ؟..

وعاهدتها الكونتس وقد ازداد فضولها ، فقالت الفتاة :

ــ انني اهوى مصارع ثيران اسبانيا ، ولذا اقضي النهار في رفقته ..

على ان الكونتس لم تنعم طويلاً بمشاطرة الفتاة سرهـا .. ففي اليوم التالي ، ودعتها فيوليت عائدة الى بوردو بدعوة من ابيها..

وتريثت الكونتس يومين ، ثم غادرت مدريد بدورها ، مستقلة الطائرة الى انقره ..

وسرها انها بلغت اخيراً مسرح نشاطها ، ولكنها لم تبدأ النشاط الا بعد اسبوعين من وصولها ، نزلت خلالها في جناح خاص بفندق كبير ،

واستطاعت بمظهرها المهيب ، وبذخها المسرف ، ان تجمع حولهـــا حاشية من المعجبين ..

وفي اليوم الاول من الاسبوع الثالث مرت الكونتس بصيدلية على مقربة من الفندق، فخطر لها ان تبتاع بعض الادوية، ولذلك بادرت الى ولوجها.. وفتحت حقيبتها بحركة رشيقة ، فتناولت منها «روشتة» دفعت بها الى الصيدلي، فبادرها بدوره الى اعداد حزمة صغيرة ، حملتها الكونتس الى الفندق ..

وفي مخدعها ، فضت الحزمة فاذا بها تحتوي على زجاجتين وعلبة صغيرة.. وكانت احدى الزجاجتين مليئة بملح ملين ، فعمدت الكونتس الى افراغ ما بها على منضدة ، فلم تلبث ان سقطت خلال الملح وريقة تناولتها المرأة في لهفة وفضول ..

وكانت تلك الوريقة تشتمل على التعليمات التي يجب ان تعمل وفقاً لها.. وهي ان تعد في صباح يوم الاثنين من كل اسبوع ، تقريراً لرؤسائهـــا ، تكتبه على ورق على هيئة الروشتات مستخدمة «شيفرة» من اسماء الادوية.. ثم تدفعه الى الصيدلي — وكان من اعوان المخابرات البريطانية — فيقدم اليها في مقابله بعض ادوية ، دست فيها التعليمات اللازمة .

ومر يومان .. وفيما كانت الكونتس تهبط الى قاعـــة الطعام في الفندق ذات مساء، اذا بها تفاجأ برؤية فيوليت ديبون ... الفرنسية التي تعرفت بها في مدريد .. واجفلت الفتاة ، وقد فوجئت هي الاخرى بلقائها ..

وسألت ماري صاحبتها عما جاء بها الى انقره فاجابتها :

— الاستشفاء ايضاً ياعزيزتي .. كأني بالاطباء عملاء لمكاتب السياحة ، فهم لا يفتأون ينصحونني بان ازور هذا البلد ، او ذاك ..

وسارت المرأتان سيرتها في مدريد .. فكانت فيوليت تختفي عن الانظار طول النهار ، حتى اذا هبط المساء ، عادت الى الفندق فتتناول العشاء مـــع

صديقتها ، وتسمران معاً فترة قبل ان تأويا الى مضجعيها ..

وعاود الفضول الكونتس بصدد غياب صاحبتها ، فسألتها مداعبة :

ـــ ماالذي يحرمنا منك طول النهار؟.. اهو مصارع الثيران.. هنا ايضاً؟

وضحكت فيوليت واجابت في بساطة :

ـــ انني اضيق بجو الفندق ، فانطلق في ارجاء المدينة ..

ـــ اولا تصحبينني مرة ؟..

ـــ اخشى الا تروقك صحبتي ، فانا غريبة الاطوار والتصرفات ..

وبادرت تحول دفـــة الحديث بمهارة ، فعاونتها الكونتس وقد بدأت الشكوك تساورها في امرها .

ووجدت في التعليمات التي تلقتها في يوم الاثنين التـــالي ، مـــا عزز شكوكها ، واجلى السر الذي كان يحيرهـــا .. فقد جاء فيها : « ليست فيوليت ديبون سوى الجاسوسة الالمانية فراولين دنتر .. راقبيها في حـذر ودقة .. واجعلي اتصالك بنا عن طريق عـــامل المصعد رقم (١) بالفندق ، مستعملة الشيفرة ٣٥» ..

وكانت مفاجأة للكونتس ، اذ كانت قد عرفت وسمعت الكثير عـــن براعة فراولين دنتر ، وخطورة ادوارهـــا .. وسرها ان وجدت نداً قوياً تنـــازله ..

وفي ذات ليلة ، فاجأت الكونتس صاحبتها تجلس في بهو الفندق مـــع رجلين غريبين ليسا من النزلاء .. وما كان الامر ليهمها كثيراً ، لولا ان فراولين بادرت الى توديع الرجلين ، ثم سارعت تبحث عن الكونتس حتى اذا وجدتها ، تأبطت ذراعها ، وسارت بها الى ركن قصي من البهو وهي تقـــول :

ـــ انهما رجلان من عملاء ابي كلفهما بان يقدما لي بعض المال .

ولم تبد الكونتس اهتماماً طويلاً في تلك الليلة ، اذ لم تلبث ان لمحت عامل المصعد رقم (١) يشير اليها اشارة خاصة ، فاعتذرت بصداع طارىء.

وفيما كانت تغادر المصعد دس العامل في يدها وريقة لم تفضها الا بعد ان استوثقت من خلوتها في مخدعها ، فاذا فيها : « فتشي غرفة دنتر وامتعتها .. وارفقي تقاريرك بالصور دائماً » ..

وهبطت الكونتس الى بهو الفندق في الصباح التالي ، ففوجئت بوجود الغريبين — عميلي والد فيوليت المزعومين — في عين المكان الذي كانا يجلسان فيه بالامس مع الفتاة .. ولكن هذه لم تكن معهما.

وتعمدت الكونتس وهي تمر بهما ، ان تقف هنيهة لتضبط ساعتها تبعا للساعة القائمة في البهو . وكانت هذه الهنيهة كافية لان تلتقط صورة الرجلين اذ كانت الساعة تنطوي على عدسة صغيرة .

وعادت الى مخدعها في الضحى .. وفيما هي تغادر المصعد ، دس العامل في يدها رسالة ، وهو يقول انه سيتعمد التظاهر باصلاح المصعد ، تجاه الطابق الذي تقيم فيه ، ريثما تعد له تقريرها ..

وما ان اوت الفتاة الى مخدعها ، حتى فضت الرسالة ، فاذا فيها :

« ألفتي نظر السفير البريطاني — عن طريق الصيدلي — الى ان الالمان على اتصال بساعي البريد الهندي بالسفارة ، لاستمالته .. خذي حذرك ، فهم قد بدأوا يرتابون في عامل المصعد .. عودي الى الاتصال بالصيدلي » .

وتذكرت الكونتس اذ ذاك نبأ قرأته في صحيفة صباحية ، عن مصرع ساعي البريد بالسفارة البريطانية في حادث سيارة .. وكم كانت دهشة الكونتس — اذ عادت الى ما نشرته الصحف — فتبينت ان اوصاف السائق صاحب السيارة الجانية ، كما ادلى بها الشهود ، تكاد تطابق اوصاف احد الغريبين اللذين التقطت صورتهما في ذلك الصباح ..

وفيما هي تعد تقريرها ، والفيلم الذي يحتوي على الصورة التي التقطتها ، فوجئت بصرخة حادة تنبعث من الردهة .. ودست التقرير والفيلم في صدرها وهرعت الى خارج الغرفة ، فلمحت شخصاً يبادر بالتواري ، عند نهاية الممر الطويل .. وفي لحظة خاطفة ، تبينت انه الغريب الثاني .. واسرعت تبحث عن عامل المصعد ، ولكنه كان قد استقر قتيلاً في قاع الفراغ الذي يجري فيه مصعده .

واستطاعت الكونتس ان تربـــط بين الحوادث .. وان تدرك ان الغريبين ليسا سوى اثنين من اعوان فراولين دنتر وقد اخفق احدهما في استمالة ساعي البريد الهندي فتخلص منه .. بينما دفع الثاني مقعد عامل المصعد فارسله الى حتفه ، بعد ان ارتاب في امره .

وادركت ان الالمان قد بدأوا يرتابون في امرها .. هي الاخرى ..

وقدمت تقريرها والفيلم — في ذلك اليوم — الى الصيدلي ، الذي نصحها بدوره الا تتصل به حتى يوفد اليها احدى الممرضات .

واحست الكونتس بان الحلقة تضيق ، فعزمت على تفتيش غرفـــة فراولين في الصباح التالي ..

وفي الصباح التالي ، طرقت الكونتس باب الغرفة المجاورة لغرفة فراولين ، فلما استجاب ساكنها للطرقات ، قالت له في رجاء :

— هل لك في اداء خدمة لي .. انني اعاني نوبة قاسية ، فهلا حملت هذه «الروشتة» الى الصيدلي المجاور للفندق ، فاحضرت لي الدواء ؟.. كنت ارجو ان اذهب بنفسي ، ولكني اخشى ان تصرعني النوبة في الطريق .. كما انني لا أأتمن الخدم .

وما كان لرجل مهذب ، ان يتردد في تلبية رجاء سيدة مريضة .. ولا سيما وان هذه السيدة هي الكونتس .

وكانت «الروشتة» تتضمن رسالة الى الصيدلي، تسأله فيها أن يستبقي الرجل اطول امد ممكن ، وان يوفد الممرضة الى غرفتها فتبقى بها ريثما تفرغ من تفتيش غرفة فراولين .

وما ان انصرف الرجل ، حتى تسللت الكونتس الى غرفته ، ونفذت منها الى غرفة فراولين ، فقد كانت تربطها شرفة واحدة .

واسرعت الكونتس ، تفتش الغرفة في عجلة ، تجمع كل ما تقع عليه يداها من اوراق . ثم هرعت الى غرفتها ، فالفت الممرضة التي ارسلها اليها الصيدلي في ارتقابها .. وسرعان ما دست الاوراق في حقيبة دفعت بها اليها ، وامرتها ان تعجل بتسليمها الى الصيدلي .

واذ انصرفت الممرضة ، عادت الكونتس الى غرفة فراولين تبحث عن مزيد .. وفيما هي مستغرقة في مهمتها ، فتح الباب فجأة .

وجمدت الكونتس في مكانهـــا .. واحست بقلبها يـــكاد يكف عن الوجيب .. وفي بطء التفتت الى الباب ، فاذا فراولين وصاحباها الغريبان ..

ولم تظهر الكونتس انا راجفسكي — او ماري تمبلون ، او S.3 بعد ذلك .. فقد حملت الى برلين ، حيث دفعت حياتها ثمناً للواجب ، ولكن .. بعد ان زودت الحلفاء باهم ادلة الاتهام التي استندوا اليها في محاكمة مجرمي الحرب النازيين .. اذ كانت الاوراق التي ارسلتها الى الصيدلي ، تتألف من مذكرات ووثائق كانت فراولين دنتر قد ضمنتها اخطر جرائم النازي .

إختفاء وثيقة من القصر الابيض

نشر الكولونيل ب.و.ر الذي كان ملحقاً بدائرة المخابرات الاميركية اثناء الحرب الاخيرة تحقيقاً قام به حول طائفة من اسرار هذه الحرب وخفاياها، واحتفظ باسماء الاشخاص الذين اشتركوا في الوقائع الهامة التي عرضها ، مكتفياً بذكر الحروف الاولى منها .. وكانت قضية الفتاة السمراء التي سرقت خطة الحلفاء للنزول في فرنسا من أهم هذه الوقائع ..

وقصة هذه الفتاة تبدأ بقصة الجبهة الثانية التي طال حديث الحلفاء عنها ، وحددت لها تواريخ مختلفة ، واجلت من شهر الى شهر ومن اسبوع الى آخر .. ولكن الكولونيل ب.و.ر يقول ان رجال المخابرات الاميركية كانوا على يقين منذ السابع والعشرين من شهر ايار عام ١٩٤٤ ان نزول الحلفاء في اوروبا سوف يتم خلال الايام العشرة المقبلة ، ولكنهم كانوا يجهلون نقاط انطلاقه ونقاط ارتكازه والاهداف التي سيرمي اليها .. ولم يكن في تعليمات قادة الجيوش الثلاثة المعدة لساعة النزول الا بيانات محدودة، اما عدد الشخصيات العسكرية والمدنية التي اطلعت على هذا المشروع بتفاصيله الدقيقة

فلم يتجاوز خمس عشرة شخصية في بريطانيا وعشر شخصيات في الولايات المتحدة وكندا ..

وفي اليوم التاسع والعشرين علمت المخابرات الاميركية ان سر العمليات الحربية المنتظرة قد تسرب الى الاعداء أو هو في طريقه اليهم ، لان ملاحظات روزفلت واعوانه على هذه العمليات قد طبعت على الآلة الكاتبة فطبعت خلال ذلك نسخة اضافية منها واختفت في الحال ..

وقد تولانا الذعر الشديد لما لسرقة هذه الوثيقة الهامة من عواقب خطيرة ، وبدأنا التحقيق في نطاق السكرتيرات اللواتي كن يعملن في المكاتب الثلاثة التي اعدت فيها الخطط ووضعت عليها الملاحظات والتعليقات الاخيرة .. وهذه المكاتب هي مكتب الجنرال ... ومكتبا مساعده وامين سره .. وكان يحيط بهؤلاء الضباط الثلاثة عدد من السكرتيرات يبلغ العشر وضابط واحد من اصل كندي ..

وبعد ان درس وضع هؤلاء السكرتيرات بدقة عظيمة استبعدت الشبهة اطلاقاً عن ثمان منهن ، وحصرت في السكرتيرتين الباقيتين والضابط الكندي .. وقد وجد في اضبارة هذا الضابط ، بالاضافة الى اسمه الالماني ، انه كان قد قام برحلة الى المانيا في سنة ١٩٣٨ .

اما انا فان شكوكي اخذت تحوم حول الآنسة ﻫ ... وهي سكرتيرة رجل بارز وصديقته في آن واحد .. وكانت هذه الفتاة على جانب كبير من الجمال والذكاء .. وقد اثار شبهتي فيها ما كنت الاحظ من فضولها واهتمامها بكل شيء : الآراء السياسية ، وصحة ايزنهاور ومعاونيه ، ومضمون الرسالة التي احتجزتها المراقبة لانها ضارة بمعنويات الاميركيين المدنيين ..

وقد لمت نفسي كثيراً على الاشتباه بفتاة تتحدر من اسرة عريقة بكاليفورنيا ، ولها شقيقان يحاربان في الجيش الاميركي ، وهي ابنة محارب

اميركي قديم احرز وساماً رفيعاً في حرب عـام ١٩١٨ ، وتساءلت عمـا يمكن ان يدفع مثل هذه الفتاة الى خيانة بلادها بينا نوشك ان نوجه الى اعدائنا الضربة القاضية ؟!.. ولم اجد في الواقع من الدوافع ما يعزز شبهتي ويوطد شكوكي ..

واتجهت حينئذ شطر الفتاة الثانية وهي فتاه سمراء ذات جاذبية خلابة ، اسرتها من جنوبي اميركا ولكنها ولدت في الولايات المتحدة ونشأت فيهـا نشأة نابهة ، ثم تزوجت بمهندس كان يعمل في احدى الورش البحرية وهو ميكانيكي بارع ولد في بولونيا ثم هاجرت به اسرته الى الولايات المتحـدة وهو طفل ..

وكانت الصبية السمراء تدعى د ... وهي معروفة بالصدق والامانـة والدقة في العمل ، ولم تلفت النظر بثرثرتها وفضولهـا شأن رفيقتها ، وكان حديثها يدور بمعظمه حول الالمان الذين قالت انهم قتلوا افراد اسرة زوجها باجمعهم .. وقد اضطررت الى التحقيق معها رغم يقيني باخلاصها ونزاهتهـا نظراً لوجودها في المكاتب المشبوهة ليـلة اختفاء الوثيقة بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة مساء للبحث عن اصدقاء قالت انها ستتعشى معهم.. وبالطبع لم يؤد التحقيق الى اية نتيجة..

وبعد ان ذهبت المرأة انتقلنا الى غرفتها فلم نجد فيها ما يلفت النظر ، ولكن كان لا بد من ان نعمل شيئاً .. فالقضية خطـيرة ، والمشتبه بهم معدودون ، وكل دقيقـة تمر قد يكون لها اثرها في مجرى الحرب وسير التاريخ .. وقد لاحظ احد المحققين ان السيدة د... بعد ان غادرتنا دخلت غرفتها ثم خرجت مسرعة مضطربة وطلبت من الكابيتين ج ... ان يوصلها الى منزلها في سيارته ..

وعند ذلك خاطبنا تلفونياً احد مخافر الشرطة التي ستمر بهـا السيارة

وطلبنا منه ايقاف السيارة وتفتيشها وحجز ركابها ، وقررنا ان نسبق المرأة الى منزلها لتفتيشه قبل وصولها اليه .. فلم تنقض ربع ساعة حتى انبأنا المخفر بوصول الكابيتين ج... وحده ، ولما سئل عن رفيقته انبأ رجال المخفر بانها طلبت اليه الوقوف امام احدى الغابات ، ونزلت متذرعة بدافع ملح ، ثم اختفت في الغابة .. وقد ناداها كثيراً وبحث عنها دون جدوى..

وكانت الغابة المذكورة تتصل من احد اطرافها بالطريق التي سلكتها السيارة حين نزلت السيدة د... منهـــا ، وتتصل من طرف آخر بشاطىء البحر .. فارسلت الاشارة حالا الى جميع مخافر الشرطة بالبحث عن المرأة والقبض عليها ..

وما هي الا ساعة واحدة حتى جيء بالمرأة جثة هامدة ، فقد وجدهـــا احد الضباط وهي تغادر الغابة لتلحق بزورق بخاري كان في انتظارها على الشاطىء .. فأمرها بالوقوف مهدداً اياها باطلاق النار ، فبادرته باطلاق النار من مسدسها ، فأجابها الضابط بالمثل فأصابها وارداها قتيلة .. وما كاد قائد الزورق البخاري يسمع طلقات النار حتى غادر الشاطىء ...

قال الكولونيل : وحملنا الجثة الى مقعد طويل ، وبدأنا نتحرى حقيبتها وجيوبها .. فاذا بيدي تقع داخل المشد على الوثيقة المفقودة !

ولا حاجة لان اقول لكم ان المرأة انما اقدمت على هذه المغامرة الخطرة بدافع من زوجها البولوني الذي كان من رجال الغستابو وقد اختفى منذ ذلك اليوم عن الانظار .

سر المرأة الشقراء

كان يسير في حديقة الفندق الذي ينزل فيه بباريس عندما سمع وقع خطوات سريعة تقترب منه ، فالتفت واذا باحد خدم الفندق يتقدم اليه في الظلام قائلاً :

ــ عفواً سيدي ، انني احمل رسالة اليك ..

فتناول منه الرسالة ، وفض غلافها ، واخذ يقرأها على نور مصباحه الكهربائي الصغير ، وتولته الدهشة ، فعاد يقرأها من جديد .. فقد كانت بضعة سطور كتبت بخط نسوي رقيق ، مضمونها :

اوتيل بالاس ــ باريس

سيدي : توسمت فيك المروءة والشهامة ، فخطر لي ان الجأ اليك من اجل خدمة معينة فاذا شئت ان تلبي الرجاء فاحضر لمقابلتي تواً على السطح .. انك ــ ولا شك ــ تعرف جارتك ساكنة الغرفة ٣٩ المجاورة لغرفتك .. انني هي نفسها .

وتذكر الرجل في الحال صاحبة الرسالة .. كان قد رآها في بهو الفندق

فخلب لبه جمالها الطاغي وشعرها الاشقر.. انها نزلت بالغرفة المجاورة لغرفته، ولكنه لم يجرؤ على اكثر من مبادلتها التحية ، وان لم يفتأ يسائل نفسه عن سر حرصها على الابتعاد عن زملائها من نزلاء الفندق .. فهي تجلس الى مائدة الطعام وحدها، وتتنزه في الحديقة وحدها ، ولا ترى دائماً الا منفردة بنفسها، مما كان يحفزه على ان يبحث ويستطلع عسى ان يعرف سرها .. ولكنها وفرت عليه عناء الاستقصاء اذ بعثت اليه بتلك الرسالة ..

ولم يتردد في تلبية الدعوة ، فاتجه لفوره شطر « السطح » ، حيث وجد الحسناء جالسة في احد اركانه على مقعد كبير وفي يدها سيكارة كانت تنفث دخانها في شيء من الانفعال .. وبدا عليها الارتياح اذ رأته ، فأشارت بيدها نحو مقعد تجاهها ليجلس عليه ، فجلس وقد تكاثرت على ذهنه الافكار والهواجس، فراح يسائل نفسه عن تلك المرأة .. اتكون من بنات الهوى؟. ولكنه لا يرى في لهجتها وملامحها دليلا على ذلك .. اذن ، فهل تكون من بنات المسارح ؟.. ولكن حرصها على العزلة والانفراد ، يتنافى وعادات هذا الصنف من النساء .. اتكون غير فرنسية ؟.. كانت تتكلم الفرنسية بطلاقة ، ولكنه كان يرى في ملامحها صورة اجنبية ..

وفيما كان غارقاً في حيرته ، قالت :

ــ لا شك انك دهشت حين تلقيت رسالتي ، فليس من المألوف ــ حتى في باريس ــ ان تلتمس امرأة خدمة من رجل تجهله ويجهلها ..

فأجابها وهو ينتقي كلماته :

ــ من النساء من يحصلن على ما يردن دون ان تبدو رغباتهن مزعجة لمن يلبيها .. وانت يا سيدتي ممن وهبن هذه الميزة .. فانا على استعداد للقيام بأية خدمة تطلبينها ..

ــ أأنت على ثقة مما تقول ؟

ـ نعم يا سيدتي ، فهل ترتابين في ذلك ؟

ـ ان معرفتك بي غير وثيقة ، فما انا ـ بالنسبة اليـك ـ غير امرأة التقيت بها في اروقة هذا الفندق ..

وشعر الرجل في هذه اللحظة بشيء من القلق ، وخطر له انه قد يكون جازف كثيراً بما وعدها به ، ولكنها لم تترك له وقتاً للتفكير ، فقد تحولت تحدثه بلهجة رقيقة :

ـ لقد تأكدت من انك رجل شريف شهم . وسترى ان الخدمة التي اطلبها ليست عسيرة.. انك، ولا شك، تعرف مارسيل اينوت؟

ـ الراقصة المشهورة ؟

ـ هي بعينها .. لقد هجرها صديقها تاجر النبيذ ، فاصبحت محرومة من ۲۰۰،۰۰۰ فرنك كان يقدمها لهـا كل سنة .. ولكي تسد هذا العجز في ميزانيتها عزمت على بيع عقد من اللؤلؤ تملكه ، فراق لي ان اشتريه ..وقد اتفقنا على ان ترسل مارسيل هذا العقد، الليلة، الى غرفتي بالفندق..

واصغى الرجل الى كلامها كل الاصغاء ، ولكنه لم يتبين الخدمة الـتي تعنيها منه .. على انها ما لبثت ان عادت الى الحديث قائلة :

ـ اني ادرك ما يجول بخاطرك وستفهم كل شيء في سياق كلامي .. لقد احاط بمارسيل مذ هجرها صاحبها ، رجال لا يوثق بهم او يركن اليهم، وبينهم موريس فيشر ممثل السينما الذي يدعي انه اجمل رجل في باريس .. والواقع انني لا اطمئن الى خلقه وامانته ، وقد رابني انه يقوم بدور غريب في بيع العقد ، فهو الذي سيحمله الي بعد لحظات .. وقد رجتني مارسيل ان اسلمه «شيكا» بثمن هذا العقد ، لانها،على ما يبدو، تثق به .. ولما كنت لا اشاطرها هذه الثقة ، لذلك رأيت ان احتاط للأمر فخطر لي ان الجأ اليك..

ـ وماذا تريدين ان افعل ؟

ــ ان تتكرم فتصحبني الى غرفتي لتقوم بدور الشاهد ..

ــ اني مستعد للقيام بهذه المهمة ..

ــ اشكرك كثيراً ، وارى ان تقف وراء الستائر فترى ما يجري دون ان يراك احد .. لسوف افحص العقد فحصاً دقيقاً، فاذا اطمأننت الى قيمته، سلمت فيشر «الشيك» المتفق عليه على مرأى منك ، وعليك ان تجثم في مخبئك، فلا تغادره الا في حالةواحدة ..

وتطلع اليها في تساؤل ، فاستطردت قائلة :

ــ اذا رأيتني في خطر .. لاشك انك في هذه الحالة تفعل ما تقضي به النخوة والشجاعة .

واتفقا على ان يسبقها الى داخل الفندق ، فيتسلل الى غرفتها ، ثم تلحق به بعد دقائق ، ذراً للرماد .. وان هي الا فترة وجيزة، حتى كانا يجلسان معاً في الصالون الذي تضمه الغرفة، والذي يقوم في احد جوانبه باب يفضي الى المخدع ..

وانطلق لسانها في محادثته، فذكرت له انها تدعى «كلير ريمار» وانهـــا ارملة ضابط فرنسي كبير استشهد في الحرب . وتبسطت معه في الحديث حتى احس بالكلفة تتلاشى بينهما ، فعاوده حذره .. وارتدت اليه مـــع الحذر هواجسه ، فراح يسائل نفسه اهي افاقة ام شريفة صادقة ؟ ..

وبينما هو في هذا التساؤل انبعث رنين جرس التليفون فجأة .. ومـــا كادت تضع السماعة على اذنها حتى قالت :

ــ نعم دعوه يصعد ..

ثم التفتت اليه قائلة :

ــ لقد جاء .. يجب ان تتوارى وراء هذه الستائر ..

واسرع يلبي رجاءها .. وان هي الا لحظة،حتى اقبل رجل انيق قابلته

السيدة بالبشاشة والترحيب .. وتبادلا بضع كلمات ، ثم رأى ــ من مخبأة خلال الستار ــ الرجل يخرج من جيبه لفافة من الورق فيقدمها للسيدة ، وما لبث ان تبعها الى الغرفة الداخلية .. ورأى الباب يغلق وراءهما ..

ومرت لحظة .. ثم سمع الرجل المختبىء وراء الستار صوت طلق ناري صادر من الغرفة الداخلية .. اعقبه طلقان آخران متتابعان .. فذهل وجرى مسرعاً الى باب الغرفة ، ولكنه الفاه مغلقاً من الداخل ، وعاد الى الباب المفضي الى ردهة الفندق فوجده مغلقاً من الخارج ... ورأى نفسه كالاسير في مأزق حرج يشوبه الغموض . وبادر يعالج قفل الباب الاخير .. ولكنه لم يفلح .. فقد فاجأه اهل الفندق الذين اقبلوا على اصوات الطلقات ..

وسرعان ما ظهر ان الرجل الذي استقبلته السيدة والذي جاءها باللفافة قد قتل في الغرفة الداخلية ..

وكان موقف الرجل الشهم كفيلاً بان يلقي عليه الشبهات ، فقبض عليه وعبثاً انكر علاقته بالحادث وضاعف من حرج موقفه انه وان كان من اصدقاء الالمان ــ الذين يسيطرون على فرنسا اذ ذاك ــ الا ان مسلكه كان يثير ريب الغستابو .. وكانت الشواهد توحي بانه يخدع الالمان ، ويتعاون مع الحلفاء .. فجاء هذا الحادث مدعماً للريبة .. اذ ان القتيل «فيشر» كان من زعماء جواسيس الالمان الاجانب الذين حيروا مخابرات الحلفاء.. ومن ثم ايقن رجال الغستابو ان للرجل يداً في اغتيال «فيشر» فاعدم رمياً بالرصاص..

اما السيدة الحسناء فلم تكن سوى « كيتي اوغدن» .. وكانت من امهر الجاسوسات الانكليزيات ، وقد اوفدتها ادارة المخابرات البريطانية خصيصاً لتقضي على «موريس فيشر» و«بزيات» ، فتفتق ذهنها الجبار ، عن هذه الخطة البارعة .. اذ نسجت قصة العقد المزعوم ، لتجمع بين الاثنين في مكان واحد

يكون فيه حتفهما. فقتلت الجاسوس الالماني وتركت تهمة قتله تلصق بزيات صديق الالمان .. وعاونت كيتي في خطتها الراقصة الباريسية مارسيل اينوت التي ادت اجل الخدمات للحلفاء خلال الاحتلال الالماني لفرنسا ..

ولقد تبين رجال الغستابو حقيقة ما حدث فلم يكفوا عن تعقب كيتي اوغدن .. حتى عثروا عليها بعد شهرين .. وكانت لا تزال في باريس وقد تنكرت في هيئة عجوز شمطاء تعمل في مصنع للشيكولاتة ، وتواظب على القيام بواجبها .. فاعدموها رمياً بالرصاص .

البقاء الأول والأخير

كان ذلك خلال احتلال الالمان للنرويج في اوائل سنة ١٩٤٤ .

وفي ساعة مبكرة جداً من صباح يوم مشرق ، كانت «فيفان اولشن» كبيرة ممرضات المستشفى الرئيسي في اوسلو،عاصمة النرويج،واقفة في احدى الشرفات تستنشق نسائم الصباح ، فاذا بها تتبين شبحاً يتقدم نحوها مخترقاً اشجار الحديقة .. وما هي الا لحظات حتى رأته بوضوح .. كان طيـــاراً انكليزياً يسير في اعياء شديد ، متحاملاً على نفسه وقد غطت وجهه الدماء وتناثرت بقع كبيرة منها على ملابسه العسكرية . فاسرعت اليه فيفان تعينه على المسير ، حتى وصلت به الى غرفتها ، واغلقت ابوابها ونوافذها وهي تحمد الله على ان احداً لم يرها وهي تؤدي المعونة كذلك الطارق الغريب في تلك الساعة المبكرة من الصباح ..

وانطرح الشاب على اول مقعد صادفـــه وراح في غيبوبة .. فسارعت فيفان الى تضميد جراحه ، حتى اذا ما انتهت ــ وكان ما يزال غائباً عن وعيه ــ وسّدته اريكة مستطيلة في غرفتها واغلقت عليه الباب من الخارج ، وذهبت تؤدي واجبها ، وكانت تعود اليه بين فترة واخرى فتجده مستغرقاً

في غيبوبته ، الى ان افاق بعد ساعات ، فلما تنبه الى ما حوله قال لها في اصرار :

ـ لا بد ان اذهب الآن ..

ـ ولكن ذهابك الآن في رابعة النهار ضرب من الجنون ، فانتظر حتى يجن الليل عسى ان تستطيع الفرار دون ان يراك الالمان .. انهم يملأون المدينة كما تعلم ..

واطمأن الضابط الجريح الى محدثته، وافضى اليها بأن اسمه «بنيت» من رجال المخابرات البريطانية وانه قدم مع جماعة من رفاقه في مهمة خاصة ، ولكن الطائرة سقطت بهم في غابة قريبة قبل ان يصلوا الى مقصدهم ،فتحامل على نفسه وسار على غير هدى ..

ـ لا بد ان تبقى حتى الليل .

ـ ولكنني اعرض نفسي بذلك للاعتقال بسبب هذه الملابس العسكرية التي ارتديها ..

وفكرت فيفان لحظة ، ثم بدا عليها انها وصلت الى حل ، فقالت له :

ـ اطمئن .. لقد ترك احد الممرضين العمل امس ، وتستطيع ان تحل محله ..

وبعد لحظات تحول الطيار الانكليزي الى ممرض بالمستشفى ، وارتدى ثياب الممرضين الابيض ، ولم يكن هناك ما يميزه عن باقي زملائه ، اذ كان يتقن لغة البلاد كأحد ابنائها .. وقد قدمته فيفان الى باقي الممرضين باسم «اورفيغ» .. وانتهز «بنيت» فرصة انفراد فيفان فراح يسألها:

ـ ولكن ما الذي يدعوك الى الاهتمام بي الى هذا الحد ؟

فبدت على وجهها مسحة من الكآبة وقالت له والدموع تترقرق في مآقيها:

ـ انهم النازيون الاشرار .. لقد قتلوا والدي ـ صاحب هذا المستشفى ـ

لانه كان من رجال المقاومة السرية هنا ..

وطاب لبنيت المقـــام في المستشفى .. ووجد فيه مركزاً صالحاً كل الصلاحية للقيام بمهمته التي كانت تنحصر في ان يبلغ القيادة البريطانية العليا اخبار النازيين في النرويــج اولا باول .. ووجد في فيفان خير معين له في اداء هذه المهمة ، حتى لقد ساعدته بالاتفاق مع رجال المقاومة السرية على اعداد محطة لاسلكية كاملة في المستشفى لا يمكن اكتشافها ، وبذا اصبح يتصل بلندن مباشرة عن طريقها .

وكان متوقعاً ان ينشىء الالمان قاعدة حربية في النرويج يغزون منها الجزيرة البريطانية وكانت حركة المقاومة السرية في النرويج ادق حركة من نوعها في اوروبا.. لذلك كانت مهمة بنيت وزملاؤه من رجـــال المخابرات سهلة ميسرة .. وكان احد زعماء هذه الحركة ينقل الى بنيت مساء كل يوم تقارير مفصلة عن حركات الالمان ، فيبلغها من فوره الى لندن .. وكانت فيفان تتصل بنفسها في بعض الاحيان بزعماء المقاومـــة السرية وتجمع منهم الاخبار لتبلغها الى بنيت .

وبعد قليل اتسع نطاق المهمة التي القيت على عاتق بنيت وصديقته فيفان فلم تعد مقصورة على نقل الاخبار فقط ، بل كان عليهما ايضاً ان يساعدا في تنفيذ حركة الحلفاء التي كانت ترمي الى طرد الالمان من النرويج وذلـــك بامداد حركة المقاومة السرية في النرويج بالمؤن والسلاح .. وقد استفـــاد الحلفاء من حياد السويد وقتئذ ، لانها كانت تميل الى مناصرتهم ، وتعمل على مساعدتهم ــ سراً ــ في نقل هذه المؤن والاسلحة عن طريقها ..فكانت قطارات البضائع التي تسير على خط استوكهلم ــ اوسلو تحمل الاسلحة التي تاتي بها طائرات الحلفاء الى استوكهلم مخبأة في صهاريـج البترول .. وكان الجيش السويدي يتعمد احياناً ان يجري مناوراته على حدود النرويجية ،

وبذلك تتاح الفرصة لنقل هدايا الحلفاء الى النرويج ..

وكانت مهمة بنيت وفيفان ان يتلقيا من لندن مواعيد وصول القطارات القادمة من استوكهلم الى اوسلو .. او مواعيد مناورات الجيش السويدي، ويبلغاها لرجال المقاومة السرية في اوسلو ليكونوا متأهبين لتسلم هدايا الحلفاء القيمة من الاسلحة والذخائر والمهمات ..

وكانت تتاح لبنيت احياناً فرصة الاتصال بزعماء حركة المقاومة السرية اتصالا مباشراً بان يخرج اليهم في سيارة المستشفى السريعة النقالة ويمر تحت سمع النازيين والغستابو وبصرهم آمناً مطمئناً .

ووفق بنيت وفيفان كل التوفيق ، وسجلا عدة انتصارات باهرة .. فلم تكن هناك سفينة تبحر من اي ميناء في النرويج او تمر بها ، الا وتعلم بهـا لندن ، وكانت القيادة البريطانية العليا تعلم بموقع كل مدفع الماني على شاطىء النرويج ، وكل مطار اقامه الالمان ، وعدد الطائرات التي به وانواعها ..

وسار كل شيء على ما يرام . حتى تحرج الموقف فجأة . فقد اقبلت على المستشفى فرقة من الغستابو واستدعى قائدها فيفان وابلغها في غلظة انه قرر هو ورجاله الاقامة في المستشفى حتى يجدوا مكاناً اصلح لاقامتهم .. وقبل ان تجيبه داعب ذقنها بطرف اصبعه وقال لها مازحاً :

ــ هيه .. ايتها الحسناء .. اتفضلين ان يكون بين ذراعيك ضابط عظيم مثلي ، ام جثة مريض ميت من مرضاك ؟

فأجابته على الفور :

ــ مع احترامي لسيدي القائد ، افضل جثة الميت .

فضحك طويلاً ، ثم امرها بجمع كل من في المستشفى من الموظفين والخدم ، فلما جاءته بهم امرهم بان يقدم كل منهم اوراقه المثبتة لشخصيته ، حتى اذا ما وصل الى بنيت قال له :

ـ لقد فقدت مني تذكرتي منذ ايام.. وسيكون عندي بدلا منها غداً ..

فصاح به القائد يحذره من عدم الحصول على التذكرة في الغد ..

وفي المساء شرب القائد ورجاله كثيراً من الخمر ، واثقلوا من مزاحهم السمج مع ممرضات المستشفى ومرضاه .. حتى فيفان فقد اختصها القائد باوفر نصيب من هذا المزاح.. فتحملوا جميعاً هذه السماجة حتى اثقلت الخمر رؤوس الطغاة فانطرحوا نائمين حيث كانوا..وعندئذ انتهز بنيت الفرصة وصعد الى محطته اللاسلكية السرية فابلغ لندن ما حدث .. وفي نفس الوقت كانت فيفان قد ذهبت الى مركز زعماء المقاومة السرية ، وعادت قبل ان يستيقظ المخمورون ، فانفردت ببنيت وقالت له :

ـ ان هناك مهمة خطيرة تنتظرك .. ستجد في السيارة التي تنتظر خارج المستشفى صندوقاً كبيراً عليك ان تذهب به حالا الى استوكهلم ، مخترقاً الطريق السري الذي يجهله الالمان .. وسيصحبك خبير بهذا الطريق .. وفي مطار استوكهلم ستكون في انتظارك طائرة لتقل هذا الصندوق فوراً الى لندن ...

ـ وماذا يحوي هذا الصندوق ؟

ـ لا اعلم .. وليس علينا الا ان ننفذ الاوامر ..

ـ وما الذي ستفعلينه مع هؤلاء الاوغاد الذين جاؤونا من الجحيم ؟

ـ لا تقلق علي .. هيا لا تضيع الوقت ..

وانطلق بنيت .. انطلق بعد ان احتضن فيفان وقبلها قبلة طويلة .. قبلة اعترف كل منهما خلالها للاخر بحبه الدفين .. وكانت اول وآخر قبلة لهما ، اذ قدر لهما الا يلتقيا بعد ذلك ..

ومضت ايام .. ولم ينتبه احد من الغستابو لغياب بنيت او يسأل عنه.. وذات يوم اقبلت الى المستشفى امرأة حسناء لتقيم حيث كان يقيم رجال

الغستابو .. وعرفت فيفان من رجال المقاومة النروجيين من هي هـذه الحسناء .. هي فرولين دنتر زعيمة جاسوسات النازي في الحرب العالمية الثانية. وقد وصلت ليلا وأوت الى فراشها مباشرة بعد ان قضت بضع دقائق في حديث سري مع قائد الغستابو ..

وفي نفس الليلة وصل الى فيفان نبأ مصرع بنيت .. لقد اتم مهمته بنجاح واوصل الصندوق الى مطار استوكهلم ، وسلمه للطائرة ، فطارت به الى لندن .. وكان هذا الصندوق يحوي قنبلة صاروخية من تلك القنابل التي كان الالمان قد بدأوا يطرون بها لندن منذ تشرين الاول ١٩٤٤ وكانوا يجربونها في النرويج ، حيث استطاع رجال المقاومة السرية النرويجيين الحصول على واحدة منها ، هي التي ارسلوها مع بنيت الى استوكهلم ، ومنها الى لندن ليعرف الحلفاء سرها ويتأهبوا لمقاومة خطرها في الوقت المناسب .

وبينما كان بنيت عائداً الى اوسلو تعطلت به السيارة قرب الحدود بين السويد والنرويج .. فاضطر ان يواصل السير على قدميه .. وما زال يسير حتى ضل الطريق ، واذا به يقع وسط معسكر للالمان فلما حاول الفرار اطلقوا عليه النار وقتلوه ..

وتلقت فيفان النبأ المفجع فارتعد كيانها من هوله ، وعادت الى المستشفى مذهولة ، وكأنما ليس بينها وبين الاحياء صلة او سبب .. وكان رجال الغستابو نائمين على الموائد مخمورين كعادتهم كل ليلة ، فخفت الى غرفتها وكأنها اعتزمت امراً .. ولكنها ما كادت تصعد السلم حتى رأت امامها فراولين دنتر تامرها في غلظة ووقاحة ان تعدّ لها الحمام ..

واعدت فيفان الحمام .. ونادت فرولين دنتر التي بالغت وقاحتها ان امرتها بأن تعينها على الحمام .. فأعانتها .. وتركتها بعد دقائق جثة هامدة غارقة في ماء المغطس الساخن ..

وخرجت فيفان من الحمام لتلقي امامها قائد الغستابو يصعد السلم ويسألها في غطرسة :

ـ اين سيدتك ؟

فأشارت الى الحمام .. ولم تنكر جريمتها ..

وبعد ايام كان اسم فيفان اولشن يحتل مكانة في سجل شهيدات المخابرات البريطانية .. فقد اعدمها النازيون في برلين .

ثلاث حكايات مثيرة

لعل قصة « اميلي » اروع هذه القصص جميعاً .. فقد كانت من اهم العناصر التي ساعدت على انقاذ فرنسا، فحررت اوروبـــا كلها من ربقـــة الاحتلال النازي .

واميلي فتاة زكية القلب ، رائعة الجمال .. جمعت في وجهها و كيانهـــا الفارع كل الفتنة الانكليزية والالمانية معاً .. وكان ابوها الانكليزي قـد طلق امها الالمانية ، واصبحت حياتها موزعة بين لندن وبرلين ..

وبينما كانت « اميلي » تزور امها في المانيا سنة ١٩٣٨ افضت اليها بما يتعب قلبها اذ تتقدم بها الاعوام ولم يتقدم اليها بعد رجل يطلبها للزواج . فقالت الام وهي تقبل ابنتها الساحرة : « انك لاتصلحين زوجة .. وقـــد تصلحين جاسوسة .. اخيراً . »

وضحكتا .. غير ان هذه الدعابة سيطرت على قلب الفتاة .. وطارت الى ابيها في لندن . واذ شاهد فتنتها الطاغية الجبارة صاح في وجهها : « لكم اخشى على الناس من فتنتك . » وضحكت الفتاة وهي تقول : « لن اكون شريرة ولا خطيرة يا ابي . »

واندلعت الحرب سنة ١٩٣٩ وسقطت اوروبا كلهـــا ، وبقيت فرنسا تتلوى تحت اقدام المحتل.

وعبثاً حاول الحلفاء ان يجدوا طريقاً لغزو اوروبا فقداحاطهـــا هتلر بستار حديدي .

كان لا بدللحلفاءقبل ان يشرعوا في غزو اوروباعن طريق الساحل الفرنسي، ان يعرفوا عدد قوات الاحتلال ، ومراكز احتشادها .. واجتمع رجال المخابرات طويلاً قبل ان يجدوا حلاً .. والمصادفة وحدهـــا هي التي ساقت « اميلي » اليهم .. كانت قد سئمت من الحياةفي انكلترا ، ومن انين الجرحى والضحايا .. لقد قالت لها امها ذات يوم انها تصلح جاسوسة خطيرة .. ويجب ان تكون .

وبهر رئيس مكتب المخابرات من جمالها وحيويتها وذكائهـــا .. وتفاهما سريعاً ، واتفقا على كل شيء .. قال لها :

ـــستقذف بك احدى الطائرات الى المانيا بالباراشوت اثناء احـــدى غاراتنا .. وعليك ان تعتمدي بعد هذا على نفسك .. وكألمانية تتجولين في المانيا والبلاد المحتلة كما تشائين ..

وبعد ثلاثة اسابيع من التدريب على الهبوط بالباراشوت هبطت الى برلين مزودة بالنصائح والتعليمات .. وفي برلين تقدمت الى وزارة العمـــل الالمانية تطلب عملاً تخدم به وطنها المانيا .. وعينت على الفور. وهنا لعبت المصادفة ايضاً دورهـــا.. فقد ألحقت بالفيلق ٢٦ بالميدان الغربي بفرنسا كسكرتيرة خاصة للقائد .. وهناك اثار نشاطها اعجاب الجميع .. واعجب القائد بانوثتها ايضاً فدعاها الى قضاء سهرة في منزله خلف الخطوط ..

وفي حجرة هادئة جلس الجنرال وسكرتيرته الالمـــانية يشربان الخمر، ويتحدثان عن الحياة والحب . وبعد لحظات كان الجنرال ينام في فراشه بفعل المخدر القوي الذي دسته له في الشراب سكرتيرته العزيزة الحسناء ...

وتسللت « اميلي » الى خريطة القائد فنقلت منها كل خطـــط القيادة

الالمانية في الدفاع عن سواحل فرنسا .. ونقشت الخطط على قميصها الداخلي.. ولم تهرب .

واستلقت الى جوار القائد حتى الصباح .. فلما استيقظ اخـــذ يلعن افراطه في الشراب حتى لقد افلتت منه ليلة مع اجمل النساء .

وارسلت « اميلي » قميصها الى محل معين لاشغـــال التطريز في سويسرا ليصنع على غراره قميصاً آخر ، وتابعت حياتها ونشاطها المعتاد الى جوار الجنرال الالماني .

وتولى صاحب المحل ــ وكان من رجال المخابرات ــ ترجمة النقوش .. التي كانت « اميلي » قد طرزتها ورودا بالوان مختلفة ، وكانت اوراق الورد وألوانه واتجاهاته تفصح عن عدد القوات واماكن التحصينات .

وهكذا استطاع الحلفاء ان يعرفوا قوة العدو .. وضربوا ضربتهم بنجاح .

— ٢ —

وهناك قصة اخرى ما زالت تثير الدهشة ..

وبطلة القصة ليست جاسوسة وانما راقصة تعودت ان تسجل الموسيقى الغربية المنبعثة من اذاعات العالم على شريط خاص ، وتديره بعد ذلك على مهل ، لتخرج على الناس باسلوب جديد في تحريك الساقين وهز الارداف .

وفي تلك الايام بالذات كانت الغواصات الالمانية تضرب البحرية البريطانية بعنف بالغ . ولاحظ رجال المخابرات ان اصواتاً تنبعث من الراديو بلهجة غريبة وبلغة غير معروفة .. ثم يضرب الاسطول .

وبينما كانت الراقصة تدير الجهاز الخاص بالاشرطة المسجلة لتستعيد قطع الموسيقى شغلت بتجميل ساقيها ، وفرغ الجهاز ، وابطأت في ملئه . وسار الشريط بطيئاً جداً ــ وهنا نطلقت من خلال الموسيقى لغة المانية واضحة تحدد اماكن قطع الاسطول البريطانية .

وادركت هي ان الاصوات الغريبة التي تعود كل انكليزي ان يسمعها هي اصوات جواسيس المان ، فاسرعت الى رئيس قلم المخابرات الذي رفض استقبالها ، فقد كان لديه ما يشغله عن استقبال وراقصة . كان حزيناً حائراً امام هذه الطلاسم .. وصمتت الرقصة .. واخيراً استقبلها ، فشرحت له القصة..

وقام رجال المخابرات بمراجعة الاشرطة فادركوا ان الالمان استحدثوا موجة خاصة لا تبين الا اذا سجلت الاذاعة على اشرطة وادبرت الاشرطة ببطء شديد .

ونشط قلم المخابرات في المراقبة .. ليصلوا الى معرفة شبكة الجاسوسية التي تقوم بمراقبة سفن الحلفاء .. واشتركت الراقصة في المراقبة فهدتهم الى خادمة تعمل في احدى السفارات ، كانت مكلفة بتنظيف النوافذ.. وكانت تنظفها بطريقة غريبة . اذ كانت تمر بيدها على النافذة من الشمال الى الجنوب وعلى النافذة الثانية من الغرب الى الشرق مستعملة في ذلك طريقة «مورس» لتوصيل المعلومات الى منزل آخر في مواجهتها .

وراقب البوليس الخادمة ثم وضع يده على المنزل فوجد به محطة لاسلكية سرية تتولى ارسال المعلومات الى المانيا .

وقد تعودت الخادم ان تحصل على المعلومات باستراق السمع من وراء الابواب والتقاط قصاصات الورق قبل حرقها ..

واعدمت الخادمة وانعم على الراقصة بوسام من اوسمة الشرف . .

— ٣ —

وفي الايام الحرجة التي سبقت غزو فرنسا انقضت فرقة من الفدائيين على الشاطىء الفرنسي فتلقتها المدافع الالمانية وابيدت الفرقة تماماً ، ونجا قلائل

سبحوا في البحر حتى ادركتهم السفن الانكليزية ووقع الآخرون في الاسر..

كانت القوات الالمانية على اتم استعداد كأنها تنتظر قادماً في موعد محدد. وكان بين الاسرى احد كبار رجال المخابرات البريطانية ، وقد سامه الالمان الوان العذاب ، واخذوا يدلون اليه بمعلومات دقيقة عن الاستعداد البريطاني .

وفي موجة الزهو بدقة نظام الجاسوسية الالمانية شرحوا له كيف علموا بهجوم فرقة الكوماندوس .

وقد تطوعت جاسوسة من فرقة «البرق» الالمانية للعمل في القوة المساعدة للبحرية البريطانية ، ورقيت الى رتبة ملازم وهناك تعرفت الى ضابط بالبحرية .. ولعب الحب بالرؤوس فتزوجها .

كانت هذه كلها خطة قلم الجاسوسية الالمانية .. واستمرت العملية البريطانية تنفذ الخطة بنجاح، فحملت زوجها على ان ينقلها كضابطة في قسم «الشفرة» تحت رئاسته. وبحكم عملها وقعت في يدها رسالة بالشفرة فيها تفصيل لخطة غزو الشاطىء الفرنسي ، فدونت كل ماحصلت عليه من معلومات دقيقة وذهبت الى السينما . وفي الظلام دس في يدها العامل الذي يقودها الى مقعدها برنامج السينما . ودست في يده هي خطة الغزو . ان العامل هو ايضاً احد عملاء الالمان . وقد حمل هذه المعلومات الى حقيبة سياسية لاحدى الدول المحايدة حتى وصلت الى المانيا ..

ولم يكد الضابط البريطاني يسمع هذا الحديث حتى انفجر في الصراخ وهو يشد شعر رأسه قائلاً :

ـ انها اختي ..

وبعد حين تمكن الرجل من الفرار من سجنه بمساعدة رجال المقاومة الداخلية .

واستقبلته اخته فرحة بسلامته .. وكانت قد ألحت عليه الا يذهب مع الكوماندوس .

اما هو .. فقد كان يغلي من الحنق والازدراء لهذه الاخت التي تخون وطنها بلا انقطاع ، والتي تحمل في عنقها دماء الآف البريطانيين ..

وابلغ امرها الى رؤسائه .. فراقبوها خفية وبعد ثلاثة اسابيع ضبطت متلبسة بالجريمةفحكم عليها بالاعدام ، وحينئذ فقط رفع الاخ الابي رأسه ..

جاسوستان .. وشاعر

كانت « ميلاني كينان » مثال المرأة الشحيحة الجشعة التي تستميت في سبيل المال ولا تتورع عن اقتراف الكبائر والصغائر للحصول عليه ..

وقد عرف عنها هذا الحرص ابناء قومها البلجيكيون ، وكانوا على يقين ان هذه المرأة التي تملك مقهى « السنفوني » على الطريق الممتدة من «تويلون » الى « شيماي » لا تحجم عن ارتكاب اسوأ الاعمال من اجل قرش واحد !

ومما يروى عن ميلاني أنها اماتت زوجها لفرط ما اكرهته على الكدح المتواصل في الليل والنهار اشباعاً لحرصها الذي لا يشبع ، والحقيقة ان زوجها وهو من كبار جرحى الحرب العالمية الاولى ، لم يأسف كثيراً على مغادرة هذا العالم الفاسد ، وهذه المرأة الشريرة الفاجرة ، لانه لاقى ولا شك ، في العالم الثاني ، الراحة التي حرم منها في هذه الحياة !

وبلغ من بخل ميلاني ان ربطت الاكليل الذي وضعته على نعش زوجها في يوم دفنه بشريطة سرقتها من باقة زهر كانت قدوضعت على قبر الاب « رلفين » منذ شهر مضى . ولم يكن ما يروونه عن سرقاتها لدجاجات القرية ، وعن اساليبها في فنون التهريب ، ليصد الرجال عن ارتياد مقهاها .

وكانت الشريعة السائدة في بلجيكا تحرم على المقاهي والحانات تقديم

المسكرات ، ولكن الفلوس في نظر ميلاني كانت فوق كل شريعة ، وكانت لها في مقهاها مخابىء بعيدة عن اعين الرقباء ، ناهيك بالارض الطليقة الـــتي يقوم عليها هذا المقهى اذ كان يتيسر لميلاني ان تلمح من بعيد مفتشي المقاهي والحانات فتتدبر أمر المسكرات التي تقدمها لزبائنها .

وفرت ميلاني مع من فر من ابناء منطقتها عندما غزتها الجيوش الالمانية في ربيع سنة ١٩٤٠ ، وحين عادت الى مقهاها بعد بضعة اسابيع لم تعثر فيه على زجاجة واحدة من زجاجات المشروب ، او غطاء من اغطية المناضد ، او اداة من ادوات المطبخ ، فكادت تموت قهراً من هذه الخسارة الباهظة وهي التي يهلكها فقد القرش الواحد ... ولكنها لم تمت ولم تهلك ، بل عاد مقهاها في مطلع العام ١٩٤٢ الى سابق عهده، وازدهرت مصلحتها ، وكثر زبائنه ، فكانت تسقيهم جميع المسكرات التي جاء بها الالمـــان من فرنسا واخذوا يبيعونها في القرى القائمة على الحدود البلجيكية ..

وما مضى زمان طويل حتى بدأت الظنون والشبهات تحوم حول ميلاني ، فاشاعوا عنها انها تشي بالوطنيين من ابناء منطقتها الى « الغستابو » اذ كان لا يجري في مقهاهـــا حديث ولو سرياً ، حتى يداهم الالمان في اليوم الثاني بيوت اصحاب الحديث ، وكان « ماكيوس » رئيس رجال الدرك الالماني في « شارلروا » لا يأتي الى تلك المنطقة الا ويزور ميلاني في مقهاها !

هذا ما كان يتناقله اهالي تلك المنطقة ، اما الادلة الناطقة بتجسس ميلاني عليهم فكانت تفوتهم ..

وجاء الالمـان في تلك الحقبة بأسرى من الروس لتشغيلهم في مناجـــم « بوريناج » ، ولكنهم تمكنوا من الفرار وألفوا خلية من خلايا المقاومة في المستنقعات الواقعة بين « تيهان » و «بوموِن» وكانوا يتمونون من «روبشي» ومن « سال » وكان رئيسهم الليوتنان ايفان يمر احياناً على مقهى «السنفونى»

فيلتقي فيه بمندوب قوات المقاومة في بروكسل ، ضابط الارتباط بين الخلايا المختلفة في « سامبراميوز» و «افينانوا » .

وعلى اثر احدى المقابلات كان ماركوس ورجاله يكمنون في الضواحي للاستيلاء على « ايفان » ومعاونه وعلى البلجيكي الذي حمل اليها ما كانوا يسمونه : « الطوابع السوداء » اي القسائم التي تخولهم الحصول على الاقوات ، في حال رجوعهم الى خلية المقاومة ، وقد نشبت بين الفريقين معركة قصيرة قتل فيها ايفان وجندي الماني وجرح آخر من جنود ماركوس ، وتمكن المعاون والبلجيكي من التغلل في الغابة المجاورة ، ولم تمض بضع ساعات حتى جاء من ينبىء رجال الخلية ان فصائل من الجيش اخذت تجوس خلال الغابات والمستنقعات لمطاردتهم فتسلل كل منهم الى ناحية ، لجأ بعضهم الى رجال المقاومة النازلين في شارع « فيريل » في « شيماي » والبعض الآخر توغل صعداً حتى بلغ « بومون » ..

وعاد مندوب القوات المقاومة وضابط الارتباط فيها الى بروكسل قلق البال مهموماً ، وافضى الى رئيسه بما يدور من الاشاعات حول ميلاني ، فقال الرئيس :

ـــ علينا ان نتثبت من هذه الاشاعات فاذا باتت لدينا الادلة القاطعة على صحة تجسس ميلاني للالمان ، كان عليك ان تعرف ما يجب عمله !...

ومشى المندوب في طريق « هينو » ..

وكان « مارسيل دومونسو » فتى جميلاً انيقاً وظريفاً ، وقد اشتهر في اوساط الطلاب باسم « الشاعر » ولكن لو التقته في ذلك النهار ، رفيقاته الطالبات اللواتي كن يجتمعن به صباح كل يوم ، في مواعيد ادبيه ، في «مسرح الحديقة» لأنكرنه ولم يعرفنه وهو في ثيابه البالية ويديه القذرتين كأنه من فقراء العمال .

في هذا المظهر دخل « مارسيل دومونسو » مقهى ميلاني وما كاد يجلس الى احدى الموائد حتى طلب كأس « بيرنو »

واجالت ميلاني في هذا المتسول الذي يطلب كأس « بيرنو » نظرة فاحصة من قمة رأسه الى اخمص قدميه ثم قالت له :

ـ ولكن ثمن الكأس من « البيرنو » خمسون فرنكاً فاجابها « دومونسو » :

ـ وانا لم اسألك عن الثمن ، فهاتي ما طلبت ولك الثمن الذي تشائين ..

وحين احتسى الكأس الاولى واعقبها بالثانية خشيت ميلاني الا ينقدها الثمن فقالت له :

ـ من شروط هذا المقهى ان يدفع رواده ثمن المشروب الغالي الثمن كأساً بعد كأس !

فابتسم « دومونسو » وقال :

ـ انت تخشين ان اكون خاوي الوفاض لا املك النقود المطلوبة ..

ـ من يدري فقد يكون ذلك ؟!...

وما لبث « دومونسو » ان انتزع من جيبه رزمة ضخمة من الاوراق المالية وقال :

ـ اما المال فلدي منه المبالغ الطائلة ، وان خلا مني صباحاً فلن يفوتني اقتناصه مساء ..

ـ ان من يراك يشك في ان تكون لديك هذه الاموال الكثيرة ..

ـ ليس من الصعوبة الحصول على المال في هذه الايام ...فهناك من يشتغل لحساب الالمان وهناك من يشتغل ضدهم ... والفريقان يدفعان !

ـ وهل يدفعون لك اجراً عالياً ؟

ـ خمسة الآف فرنك عن كل رأس !...

فلم تتمالك ميلاني ان صاحت :

ـــ خمسة الآف فرنك ؟!... انك تبالغ فيما تدعيه !... وكيف يدفعون لك خمسة الآف ولا يدفعون لي سوى الف ؟! ..

وكان هذا الاقرار الصريح من ميلاني ، هو الدليل الناطق الذي يبحث عنه « دومونسو » وما كادت تنتهي من كلامها حتى قال لها :

ـــ الف فرنك فقط !.. اذن ، سادفع انا لك الفرق !

وسرعان ما كان قد انتزع من جيبه مسدسه ذا الطلقات الصامتة واطلق منه رصاصة على « ميلاني كينان » صاحبة مقهى « السنفوني » فوقعت تتخبط بدمها !

وخرج الشاعر « مارسيل دومونسو » من المقهى يسير الهوينا في طريق احدى خلايا المقاومة بعد ان انتقم منها الانتقام العادل ، ولم يعرف احد سر مقتل صاحبة مقهى « السنفوني » الا بعد اشهر طويلة !..

ولم يقتصر نشاط الشاعر « دومونسو » على قتل ميلاني بل تجاوزه الى قتل جاسوسة اخرى هي السيدة فان كريجير ، من « لوفان » فقد عرف في بروكسل عام ١٩٤٤ ، ان هذه المرأة الالمانية الاصل تعمل لحساب « الغستابو » فتتوجه كل اسبوع ، الى بروكسل ومعها جدول باسماء من يخطر لها الايقاع بهم ، وتعود منها وهي منتفخة الجيوب بالاوراق النقدية ..

وعهد الى الشاعر « دومونسو » بالتحقيق ، حتى اذا توافرت لديه الادلة قام بتسديد الحساب .. وبعد ثمانية ايام قدم الشاعر الشاب الى رفقائه ، رجال المقاومة تقريراً مفصلاً عن حياة السيدة « فان كريجير » وعن اشتباهه بعلاقاتها مع الالمان ، ولكنه لن يسدد حسابها الا ساعة يقبض على الادلة الحسية القاطعة . فقال له رفقاؤه :

ـــ انك لعلى صواب يا مارسيل !

ـــ ولن استطيع القبض على هذه الادلة الا اذا كان لدي صباح الاثنين

سيارة وستة من الرفقاء المسلحين !

ــ لك ما تريد !

وفي الساعة الثامنة من صباح الاثنين كان « دومونسو » ينهب الارض على متن سيارته في طريق « تيرفوران » ويشرح لرفقائه الخطة المرسومة ويزودهم بالتعليمات اللازمة .

وكانت السيارة قد اتخذت طريق « لوفان ، وما صارت على مسافة من « المتحف الاستعماري» حتى وجد « دومونسو » موضعاً ملائماً لتنفيذ خطته فاوقف سيارته على الخط الذي يمر عليه القطار ، وقفز منها ليرفع غطاءها ويرتمي تحتها كأنه يصلح خللاً طرأ عليها .. وما كاد يفعل هذا حتى كان قطار « لوفان » قد اقبل وكان سائقه يقرع قرعاً مستمراً لينذر السيارة بالابتعاد عن طريقه ، واذ لم تتحرك السيارة من موضعها اضطر الى ايقاف قطاره على قيد مترين منها .

وقبل ان يشرع سائق القطار بقذف سائق السيارة ببعض الشتائم والاحتجاجات لأعتراضه طريق قطاره ، كان خمسة من الرجال المدججين بالسلاح يقفون على جانبي القطار ثم يقتحمه احدهم ويصيح بركابه : ـ ارفعوا ايديكم !..

وكان ثلاثة من الجنود الالمان أول من لبى هذا النداء.

ولم يلبث « دومونسو » ان دخل القطار وراح ينزع السلاح من الركاب ويرميه الى الخارج ، واخذت امرأة تولول فدعاها « دومونسو » بصوته العذب وبكلام لطيف الى السكوت فسكتت. وعندما هدأروعها هتف قائلاً:

ـ هل السيدة « فان كريجير » في هذا القطار ؟

فلم يسمع لسؤاله جواباً واخذ الركاب ينظر بعضهم الى بعض بقلق واضطراب ، اما الالمان فقد تولاهم الذهول ..

وعاد صوت « دومونسو » يدوي قائلا :
ـ انني اسأل عن السيدة « فان كريجير» !
وظل الصمت مخيما ولم يلق جواباً !
وعاد « دومونسو » يقول :
ـ ألا تود السيدة « فان كريجير » ان تتكرم علي بالجواب ؟!
ودنا حينئذ ، من سيدة جميلة غارقة في ثوب من « الساتان » الاسود وقال لها :
ـ عفواً يا سيدتي !.. ألست انت السيدة « فان كريجير ؟ »
وانقلب وجه السيدة من الاحمرار الشديد الى الاصفرار الشديد حتى بات كوجوه الموتى ..
ومد « دومونسو » يده ليتناول حقيبتها وهو يبتسم لهـا ويستأذنها في الاستيلاء على هذه الحقيبة..
وبعد ان فتش ما فيها تفتيشاً خاطفاً قال لصاحبتها :
ـ أليست هذه تذكرة هويتك ؟.. اذن ، انت بلا ريب، السيدة «فان كريجير » ، واذن ، فانا لست مخطئاً .. وبعد فهل لك ان تخبريني عن سبب ذهابك كل يوم اثنين الى بروكسل ؟
وتولى السيدة خوف شديد ولم تحر جواباً ..
فاستطرد « دومونسو » يقول :
ـ انت يا سيدتي في خدمة الالمان ، وانت تحملين الى « الغستابو » ، كل اسبوع جدولا باسماء ضحاياك .. أليس كذلك يا سيدتي ؟!
وحاولت السيدة ان تبدي اشارة نكران وعرضت عليه وعلى الركاب حقيبتها .
فقال لها « دومونسو » :

ـ ولكن جدول ضحاياك ليس في حقيبتك بــل هو في صدرك ، فانا عندما دخلت هذا القطار وناديتك باسمك للمرة الاولى رأيتك تمدين يدك الى صدرك لتطمئني الى ان « جدولك » ما زال في موضعه ، فافتحي هذا الصدر لنرى ما خبأت فيه !

وكان « دومونسو » والابتسامة لا تفارق شفتيه ، يقبض بيمينه عــلى مسدس ، فمد يسراه الى صدر السيدة وفك ازرار قميصها ثم ازرار حاملة نهديها وهي من « الساتان » الاسود ايضاً ، فاذا في داخلها كيس صغير من قماش مثبث بالدبابيس ، وقد شاهده جميع الركاب !

وسرعان ما انتزع « دومونسو » هذا الكيس الصغير وفتحه فاذا هو يحتوي على جداول باسماء الذين يراقبون الراديو ، وباسماء اعداء المانيا الذين تجب مراقبتهم كما يحتوي على مذكرات شخصية باسماء من يجب نفيهم ومن يجب توقيفهم ، وبلغ مجموع هذه الاسماء اربعة عشر اسماً !

وعندئذ قال لها « دومونسو » :

ـ لو بلغت هذه الاوراق بروكسل لكانت اربع عشرة اسرة من الاسر البلجيكية تلاحق منذ هذا المساء او منذ صباح الغد وينكل بهــا وتشرد بسببك ايتها السيدة « فان كريجير » كما جرت العــادة في كل اسبوع . انهضي واتبعيني ايتها السيدة !

وتبعته السيدة « فان كريجير » وما كادت تترجل من القطار حتى كانت رصاصتان صامتتان تستقران في صدرها !

وافسحت سيارة « دومونسو » الطريق للقطار ، فمر ، وسارت السيارة في سبيلها ، ولم يبق في ذلك الموضع سوى جثة الجاسوسة الحسناء .

مغامرات ملكة جمال

في سنة ١٩٥١ وجدت الجاسوسة البولونية الشهيرة كريستيانا سيزكا التي كانت تعمل لمصلحة الانتلجنس سرفيس ، صريعة في منزلها ، ولا تزال الظروف التي احاطت بقتلها سراً مجهولا حتى الان ..

وفي ما يلي القسم الذي وجد من مذكرات الجاسوسة القتيل :

فارسوفيا في كانون الثاني ١٩٣٦

فزت اليوم في مباراة الجمال في فرسوفيا ، وهكذا اصبحت ملكة اتربع على عرش جمال بولونيا وطني ، وليس من شك في ان هذا الفوز سيكون له اثره على اصدقائي واحبائي ، لقد هنأني كارل قائلاً : كريستيانا: لشد ما انا خائف من فوزك هذا ، ومن انا حتى تكون زوجتي ملكة ؟.

ولشد ما طرب قلبي لسماع هذه الألفاظ البديعة من فم هذا الفتى الذي تتملقه فتيات فارسوفيا ، انني لسعيدة وفخورة بلقبي الجديد .

فارسوفيا في شباط ١٩٣٦

تعسا لهذه الحياة ، اني لاكرهها واود ان اختفي من مسرحها ، كنت من شهرين او اقل فتاة عادية لي اصدقاء اعتز بهم ، بل كنت ولا زلت ملكة جمال فارسوفيا .

وتعسا للالقاب وزيفها ، لقد هجرني كارل خطيبي لان امي يهودية رغم عراقة اصل ابي ، اهذه جناية تحاسب عليها فتاة مثلي ، لقد شاعت في بولونيا

الاراء الالمانية الهتلرية الهدامة فاذا بالرجال يبحثون عن فتيات من الجنس الآرى السامي في نظرهم ، وهكذا فسخت خطبتي من كارل .

فارسوفيا في اذار ١٩٣٧

عدت الآن مع زوجي من المسرح ، لقد كانت مسرحية لا طعم لها ، ضحك لها زوجي المحترم طويلاً رغم عدم فهمه لها ، وقد تأكدت من ذلك عندما سألني بعد بعد الفصل الثاني عن حوادث الفصل الاول .

انني لست سعيدة بزواجي الذي ارغمتني الظروف على قبوله ، بعد ان هجرني كارل .

لقد كان علي ان اثأر لكرامتي بعد ان فسخت خطبتي الاولى ، ولو علمت ان الرجال تافهون الى هذا الحد لما اقدمت على هذه الفعلة التي اجني ثمراتها ، حياة راكدة ركود الماء في حفرة صغيرة .

فارسوفيا في تشرين الاول ١٩٣٧

حاولت كثيراً ان اقنع بما قدر لي من فشل في زواجي ، ولكني بدأت احتقر نفسي لرضائي بالحياة مع رجل اتظاهر له بالحب بينما انا اكرهه .

انها حياة باردة لاحرارة فيها ، فهل انا امرأة شريرة ، ام ان الحياة كلها مخاتلة ومخادعة ؟

باريس في كانون الاول ١٩٣٧

عدت الان من حفلة الكونتيس دي سي ، لقد كانت حفلة رائعة رقصت فيها الى درجة الاعياء ، وضحكت فيها كثيراً من هؤلاء الشيوخ الفرنسيين الذين يتقنون فن الغزل ويعرفون كيف يمسكون اذن المرأة بالفاظهم الرقيقة المعسولة ، واي فارق بين حديث مسيو رينيه الفرنسي المهذب الذي يعرف كيف ينتقي الفاظه اذا ما قارنته بزوجي الفظ الذي تركته في فارسوفيا .

القاهرة في شباط ١٩٣٨

تصالحت مع زوجي ، وسافرنا الى الشرق وها نحن في القاهرة .

وقد نشرت الصحف خبر وصولنا اليها ، ونزلنا في فندق شبرد ، والقاهرة

مدينة جميلة اكاد احبها فهي اول مدينة شرقية اراها في حياتي .

يا للشمس الساطعة والدفء اللذيذ ، اننا في فارسوفيا في مثل هذا الوقت نعيش على الجليد ، ولا نرى الشمس الا خلف السحب الرمادية .

غينيا في تشرين الاول ١٩٣٩

سفر زوجي الى بولونيا ليلبي دعوة الوطن وقتل في اول معركة له مع الالمان البرابرة .

ن الحياة بغيضة مقيتة ، كم اكره هؤلاء الالمان ، لقد افسدوا علي حياتي مرة ثم اخرى وكأني بهم قد شهروا الحرب على كريستيانا .

لسوف انتقم منكم ايها الوحوش

ستانبول في كانون الثاني ١٩٤٠

ن لمشرق سحره وجماله .

.. الحياة فيدعون ان فيها شيئاً اسمه السعادة .

ي لسخرية ، لقد اصبحت جاسوسة احارب الالمان الذين افقدوني خطيبي الاول ، وزوجي .

عدت اليوم الى استانبول بعد رحلة شاقة عبر اوربا الوسطى ، بعد ان اديت مهمتي الاولى في انقاذ بعض الاسرى البريطانيين .

بيروت في اذار ١٩٤٠

ليس من حقي ان اكتب مذكرات عن نفسي .. نعم فان هذا خطأ لا يجب ان تقع فيه جاسوسة ، وان اي قصاصة تكتب قد تكون سبباً لادانتها في يوم ما .

ولكني سأترك هذه المذكرات هنا .

لقد سافرت الى بولونيا اخيراً ، وشاهدت منزل عائلتي وقد اصبح اطلالاً بعد ان هدمته القنابل النازية .

لقد مات ابي تحت الانقاض ، وفقدت بفقده كل شيء .

نهباً للوحوش الضارية العمياء ، ما ذنب رجل شيخ حتى يموت هذه الميتة الشنيعة تحت الاحجار .

لقد اعتقلني الالمان وكادوا يفتكون بي لولا جواز سفري السويسري المزور .

انني احارب اعداء وطني بكل الوسائل . بل انني اقبل اخطر المهمات السرية لدحرهم .. ونجحت في ان اصبح جاسوسة ممتازة .

القاهرة في ١٤ شباط ١٩٤١

عدت اليوم الى القاهرة بعد ان نجحت في مهمة عظيمة . لقد ساعدت رجال المقاومة في بولونيا على نسف اكبر مصنع للذخائر في البلاد وكوفئت على ذلك باجازة طويلة قضيتها في القاهرة .

انها اول اجازة اقبلها لاحساسي بالتعب والكلل من الجهد الذي ابذله في عملي .

تعرفت اليوم في حفلة راقصة بفندق شبرد على الكابتن بوبيل وهو من مواطني . انه شاب وسيم رائع في الجيش البولوني الذي يحارب في الصحراء الغربية .

انني في حاجة الى من يذكرني بوطني . سأرى الكابتن غداً في مينا هاوس . نعم سأراه .

القاهرة في ٢٦ شباط ١٩٤١

لقد تعرفت على كثيرات من السيدات المصريات والاوربيات ممن يعشن في مصر ، ولكن احب صديقاتي هي مدام مادلين .

انها فرنسية جميلة وديعة .

وزوجها المصري ذو مكانة ممتازة في المجتمع .

تحدثت الى مادلين فاذا بها تقص علي قصة هي اقرب ما تكون لقصة حياتي . لقد احبت شاباً فرنسياً واختلفا ، وتقدم المصري لخطبتها فقبلته

زوجاً حلا للموضوع .

كانت تبكي وهي تروي قصتها، وسألتها : هل انت سعيدة مع زوجك هذا؟.

فقالت : انه طيب القلب ، وهو عريق الاصل فهو ابن احد الوزراء السابقين ، ثم هو يحبني .

فاندفعت اقول لها : يا للمراوغة ، لشد ما اعجب بضعفك هذا ، اتقبلين العيش في كنفه لمجرد انه يحبـــك ، وانت أليس لروحك حقوق عليك، ثم الا تخافين الزمن ، انك اليوم فاتنة يا صديقتي وفيك كل ما يحب الرجال، فلماذا تعيشين ذليلة أسيرة تقاليد واهية .

وافرضي انه هو الذي كان في موقفك ، اكان يرضى الحياة معك .

ان الرجال انانيون يحبون انفسهم ، يعطونها ما لا يرضون لنا، فالرجل يجري هنا وهناك باحثاً عن متعته ولا يعتبر نفسه متجنياً على امرأته .

اما نحن النساء فاننا نضحي بحياتنا في سبيل هؤلاء الانانيين المستهترين .

اتدرين يا صديقتي ، انني اعتبر اية امرأة تقبل هذا الوضع ، امرأة لا تعرف حقوق نفسها .

ان الرجال يعاملون المرأة معاملتهم لدمية ثمينة يلهون بها في اوقـــات فراغهم وفاتهم ان لنا مثل حقوقهم ، واننا بشر مثلهم .

كوم امبو في ٢ اذار ١٩٤١

عدت اليوم من كوم امبو بعد قضاء اسبوع في ضيافة صديقتي مادلين .

لقد بدأت مادلين تنظر الى ألحياة نظرة جديدة لقد استيقظت روحها الخاملة ، فاذا هي تشاركني افكاري عن الرجال . لقد اختلفت مع زوجها عشر مرات في اسبوع واحد .

ولماذا اختلفت معه ، لقد بدأت تأخذ لنفسها بعض الحرية التي يمرح فيها

زوجها ، وهذا يعجب الرجال .

وجدت خطاباً من الكابتن بوبييل يعاتبني فيه على اهمالي له طول المدة الماضية ، رحماك يا ربي ، لقد اصبح لحضرته على حقوق ، وهذا هو الرجل .

القاهرة في ٢٥ حزيران ١٩٤٢

الحالة الحربية خطيرة جداً ، والهزائم هناوهناك ، والعمل يحطم اعصابي ، والقاهرة قد اصبحت عاصمة كئيبة والحياة فيها تسير على وتيرة واحدة مملة ، وكأنها تسير على دقات طبل اجوف .

كنت اجلس اليوم بفندق مينا هـــاوس حين شهدت احدى سيارات الجيب تصل الى الفندق ويقفز منها الجنرال رتشي القائد العام بالصحراء الغربية .

تقدم بي عابساً رغم انه يعرفني ، لا شك ان الحالة أسوأ مما كنت اتصور .

لقد قال لي امس احد الضباط من اصدقائي : كريستينا ، لماذا تبقين بالقاهرة والالمان على قيد خطوات منها .

او تحبين قضاء فترة اخرى في احد معتقلات النازي المريحة .

ذكرت هذا الحديث عندما رأيت قائد قواتنا بالقاهرة بعيداً عن قيادته ، وشهدت زميلاً من المخابرات فسألته عن الخبر فقال ببساطة : لا تهتمي يا صديقتي اذا كان رتشي بالقاهرة فان اوكنلك يتولى مكانه هناك .

وحياني ببرود وانصرف .

القاهرة في ٢٥ تموز ١٩٤٢

الجو هنا خانق ، يشم المرء فيه رائحة البارود اذا ما جاءت الريح من الغرب ، وقد اصدرت القيادة البريطانية بلاغاً قالت فيه كالعادة كل شيء هادىء في الصحراء الغربية .

ولقد طلب مني ان استعد لرحلة طويلة ، والقتني احدى الطائرات في جنوب

فرنسا ، وبدأت مهمة في بلاد الاعداء .

ان المخاطرة التي اتعرض لها تزيدني قوة ، انني امرأة قوية ، فانا اضحك كل يوم من عشرات الرجـــال ، لقد انقذت اليوم ثلاثـــة من الطيارين البريطانيين الاسرى .

لقد ظن احدهم انني احاول انقاذه لوقوعي في غرامه . انه شاب ابله وقد قاسيت كثيراً في سبيل انقاذه عبر الحدود الفرنسية .

القاهرة في كانون الاول ١٩٤٢

قضيت عاماً حافلا بالاحداث. لقد عملت مع رجال المقاومة الفرنسيين. ونسفت طرق مواصلات الاحلاف النازيين .

نشد ما انا معجبة بالفرنسيين . لقد عشت مع رجل منهم كزوجته امام الناس . وفي المساء كنت اصبح اختاً له . لقد جمع بيننا هدف واحـد هو دحر الالمان .

لقد كان البير ـ وهذا اسمه ـ شاباً رائعاً.

وكنا نعيش في جو من التفاهم التام ، نؤدي واجبنا ليلا في الطرق المظلمة المرعبة ، وكانت مهمته هي حمايتي اثنـــاء قيامي بنسف الطرق والكباري والخطوط الحديدية

وبعد ان شاركته هذه الخدمات الرائعة شاء سوء حظي ان اعتقل .

نعم ، اعتقلني رجـــال الغستابو ، وهرب البـــير كما تقضي تعليمات الجاسوسية الاولية .

واستمر التحقيق معي اسبوعاً ثم شهراً واخيراً تقرر حجزي في احـــد المعتقلات بتهمة الشك في سلوكي ، والبحث عن اسمي في الكشوف السوداء.

لقد قالت لي جدتي يوماً : كريستيانا ان عقلية الرجال تختلف وفقاً لجنسياتهم. فلو اننا طلبنا من اربعة رجال ان يتحدثوا عن الفيل لحدث مايلي:

فالفرنسي سيؤلف قطعة رائعة من الادب عن الفيل وصفاته ، وجمال خرطومه .

اما الايطالي فسيعود وبيده قطعة موسيقية تصور انغامها هذا الحيوان العجيب .

والبريطاني سيقول في التو : الفيل هو حيوان من ذوات الاربع وقد رآه جدي في الهند وفي افريقيا .

اما الالماني فانه يعد حاجياته قبل ان يجيب ويرحل الى افريقيا في رحلة علمية ليدرس الفيل في بيئته ويعود ليقدم اليك مجلداً ضخماً قائلاً هذا ما عرفته عن الفيل .

رحم الله جدتي فقد قالت الحق . وهكذا بقيت في المعتقل تحت رحمة الالمان حتى يبحثوا في سجلات الدول الخاضعة لهم عن فتاة تدعى كريستيانا غرفيل .

واخيراً وفقت الى الهرب بعد ان اقنعت ضابطاً نازياً احمق انني احبه. فاتاح لي الفرصة فانتهزتها وفررت .

والقاهرة لا تزال هي هي بفنادقها الفاخرة الفخمة التي يشعر فيها الانسان بهدوء معابد الفراعنة . واني لاحتاج الى هذا الهدوء ولو الى حين .

لندن في تشرين الثاني ١٩٤٧

انتهت الحرب ومغامراتي فيها. لقد كانت اياماً فيها مرارة. وفيها عذوبة.

لقد اندحرت النازية التي افقدتني خطيبي كارل .

ومنحتني الحكومة البريطانية اوسمة تشهد كلها بتقدير الانكليز لجاسوستهم البولونية. وكوفئت ايضاً بوظيفة ادارية تدر علي بضعة جنيهات شهرياً .

نظرت اليوم الى المرآة لارى وضع الاوسمة التي منحتها . فاذا بي ارى

امرأة لا يمكن ان تكون بجمال كونتيس كريستيانا سيزيسكا ملكة جمال بولونيا .

لقد ولى الشباب واذا بالوجه الذي نال في يوم جائزة الجمال قد اصبح مرتعاً للتجاعيد التي اضفت عليه شيخوخة مبكرة صارمة .

وماذا اريد من جمالي القديم . هل سأتزوج مرة ثانية .؟

لا . لقد فات الوقت . ثم ان هذا العالم كله ليس فيه رجل يرضيني، ولن يرضي بي بعد الآن اي رجل .

اذن سأعيش في وحدة وعزلة .

إنتقام جاسوسة

ولدت في القاهرة ، من اب ايراني كان يتجر في السجاد ، وام ايطالية.
وكانت طفولتها سعيدة هادئة ،حتى اطبق الموت على ابيها، وعبست الايام لامها
من بعده ، فاضطرت الى ان ترحل بها الى بنغازي ــ عاصمة برقة ــ حيث
كان لها اخ يملك ملهى ليلياً .

وعاودت الايام ابتسامها للارملة الحزينة ، والفتاة اليتيمة .

وعاشت نورا في كنف خالها،حتى نمت وترعرت، واستيقظت عواطفها،
فاحبت شاباً ايطالياً كان يساعد خالها في ادارة الملهى ، وما لبث الحب ان
انتهى الى زواج سعيد .

ومرة اخرى ، تشأ لم الايام ان تكون دائمة الابتسام لنورا ، فما لبثت
ان كشرت لهـــا عن انيابها ثانية . وامتدت يد الموت فاختطفت امها . ثم
تبعت هذه الصدمة صدمـــات ، اذ شبت نار الحرب العالمية الثانية ، فانعقد
دخانها يبسط الظلام الخانق على العالم .

وما لبث الالمان ان تخطوا البحر الابيض المتوسط ، حيث مهد لهـــم
حلفاؤهم الايطاليون موطئا لاقدامهم في ليبيا .

واذ ذاك ، تلقت نورا الصدمة التالية ، وكانت اكبر ما عانت من صدمات . فقد تبينت السلطات الالمانية ان جاسوساً انكليزياً - ينتحل الجنسية الايطالية - يعمل ساقياً في ملهى خال نورا ، فاعتقلته ثم امتدت شكوكها الى المرأة وزوجها ، فسيقا مع الجاسوس البريطاني الى مصير رهيب . الى الموت رمياً بالرصاص .

وبقيت نورا وحيدة . ولم يكن لها من مورد للعيش سوى الملهى الذي خلفه خالها ، فتولت ادارته .

وكان ما لقيته على ايدي الالمان كفيلاً بان يثير في نفسها حقداً مريراً ضدهم ، فلما اتصل بها عميل الجاسوس الانكليزي الذي اعدم ليسأل عن مصيره ، الفي لديها استعداداً لان تتولى مهمته ، فتنقل اخبار قوات المحور في ليبيا ، الى السلطات البريطانية .

وهكذا بدأت نورا علاقاتها بادارة المخابرات السرية البريطانية . فكانت بداية العهد الجديد ان قامت بتجديد عام في ملهاها وبرامجه ، وحصرت التردد عليه في الضباط الالمان والايطاليين ، وراحت تتودد الى هؤلاء العملاء الجدد ، وفي قلبها ما فيه من حقد ومرارة .

واستطاعت نورا ان تكسب ود الضباط الذين راق لهم ان يترددوا على ملهاها . وكانت سخية معهم ، كريمة في معاملتهم ، لا تشي بسوء سلوكهم الى قيادتهم كما كانت السلطات تجيز لها ، ولا تشكو ممن كان يرفض دفع ثمن شرابه اذا ما ثمل . وبذلك وفقت الى الاستئثار برضاهم وثقتهم . فما ان اطمأنت الى ذلك ، حتى اتصلت بـ « الشمسية » - وهو الاسم الذي اتخذه الميجر بنكرسون مدير المخابرات البريطانية في الصحراء الغربية - واعلنته بانها على تمام الاهبة ، للعمل الجدي .

وتعددت الاتصالات . وكان بنكرسون اذا رأى في رسائلها اتجاهاً

قد يفضي الى معلومات نافعة ، ارسل اليها وريقة يقول فيها : « لبن الناقة دواء » . اما اذا تبين ان السبيل الذي تبعته لا يفضي الى جدوى ، فكان يكتب اليها : « نفقت الجمال » .

وكان ثمة رسل يحملون الرسائل المتبادلة بين نورا وبنكرسون وقد ارتدوا الثياب البدوية ، ودسوا الرسائل الخطيرة في تجاويف خفية بنعالهم .

وكان النصر الاول لنورا ، يوم وفد على ملهاها ضابط بحري ، ممن تولوا قيادة سفن الصليب الاحمر ، المخصصة لنقل الجرحى. فقد توسمت نورا فيه مورداً للمعلومات، فاسرفت في التودد اليه وفي اغرائه على الشراب، حتى فكت عقدة لسانه ، فمضى يذكر لها انه وصل لساعته الى بنغازي مع قوات المانية كبيرة، نقلت في سفن الصليب الاحمر. ولم يستطع الضابط ان يغالب الزهو، فاستطرد قائلاً :

— ما اغبى هؤلاء الانكليز. لقد جازت عليهم الحيلة ، اذ حلقت طائراتهم فوق سفننا فما تبينت علامة الصليب الاحمر ، حتى انصرفت عنها في سلام .

وصح ما توقعته نورا ،فاسرعت تنقله الى بنكرسون وادركت السلطات البريطانية ان رقابتها على سفن الاعداء في البحر المتوسط ، غير قوية . وان نقل قوات كبيرة الى ليبيا ، ينطوي على استعداد من قبل المحور ، لعمل حربي هام .

كان ضباط القوات الجديدة ، مورد فياضاً لنورا . وبدات تعمل بحرص وانتباه . وعندما صارحها احدهم بحبه ، لم تجد ضيراً في ان تجاريه فتتظاهر بمبادلته الحب . وبذا ضمنت اطمئنان اخوانه اليها .

وفي ذات مساء ، بقي صاحبها معها حتى الفجر . وكان بادي القلق ، يحاول ان يغمر ما به من هم في فيض من كؤوس الشراب ، حتى ثمل .

ومع مطلع الفجر ، تهيـــأ مضطراً للانصراف ، فضمها الى صدره وهو يهمس في أسى :

ــ ترى هل يقدر لي ان اراك ثانية بعد اليوم ؟.

وصاحت نورا في لهفة مصطنعة :

ــ كيف ؟ . اوأنت راحل ؟ لماذا ؟ . ابهذه السرعه نفترق ياحبيبي ؟ .

وفي لوعة وحسرة ، مضى يقول :

ــ لا بد من الفراق . فقـد صدرت الينا الاوامر بالانتقال الى الحدود الشرقية .

ووجف قلب نورا . كان في كلمات الضابط المتيم صيد جديد لها ، فما ان انصرف ، حتى بادرت تعد ذلك الصيد لترسله الى بنكرسون ، فلقد ادركت منه ان المحور يتأهب لزحف يرمي من ورائه الى غزو مصر .

ولكن نورا لم تجد من تحمله رسالتها . وفتشت في المدينة فلم تجد احداً من رسلها . ولكنها ازاء الرغبة الجامحة التي تولتهـا ، لم تحجم عن ان تحمل الرسالة بنفسها :

ونجحت . وظلت طيلة زحف المحور على الصحراء الغربية ، تتولى بنفسها حمل رسائلها الى حيث كان ينتظرها اعوان بنكرسون . فقد اختفى رسلها فجأة ، ولم يعودوا الى الظهور .

وما ان عادت مرة من احدى هذه المغامرات ، حتى وجدت ثلاثة من رجال الغستابو في انتظارها .

واسقط في يدها . وسدت في وجهها سبل الفرار والنجـــاة وادركت مصيرها ــ فلقد اعتاد الالمـــان ان يعذبوا من يقع في ايديهم من جواسيس الحلفاء ليحملوهم على الاعتراف . ولكن نورا اسرت في نفسها ان لا تعترف .

وعبثاً حاول المحقق الذي عهدبها اليه ان ينتزع منها شيئاً ذا قيمة . فلما

اعيته الحيل ،اشار الى رجاله فانقضوا عليها ، واحكموا وثاقها ، ثم وضعوا في فمها وانفها خرطومين اطلقا فيهما تياراً من الماء ، سد على المرأة انفاسها ، فسرعان ما اغمي عليها .

ولكنها افاقت . وعاد الضابط الالماني يغريها على الاعتراف ، فعادت بدورها الى الاصرار على الصمت . ومرة اخرى ، اشار الى رجاله . وتكرر العذاب الوحشي الفظ ، ونورا لا تلين . فالقوها في زنزانة مغلقة ، مظلمة ، لا نوافذ فيها . وراحوا طيلة ايام ثلاثـــة يراودونها على الكلام ، فلا يلقون منهـــا الا صمتاً . وافتنوا في ابتداع الاساليب لتعذيبها . فمرة يطفئون سجائرهم على بشرتها البضة الناعمه . ومرة يدقون المسامير بين اناملها والاظافر . وتارة يعلقونها من قدميهـــا في الهواء . وهكذا كانت جعبة اساليبهم البشعة لا تفرغ . وعزيمـــة نورا لا تهن ، ولا تضعف . حتى ايقن الالمان ان لا سبيل الى الاعتراف ، فرموها بالرصاص .

وماتت نورا عنايان خان ، بعد ان انتقمت لخالها وزوجها ، اذ افسدت على المحور بعض خططه ، بما كانت تحمله الى بنكرسون من معلومات .

قصة ايتها الجاسوسة

اسمي كلير فيليبس ، وقد حدثت الوقائع التي ساروبها الان في عــام ١٩٤٣ ، عندما تقهقرت القوات الاميركية في باتان ، وتبعتها انا وابنتي ديانا لكي اكون على مقربه من زوجي جون فيليبس في قيادة فرقة المشاة الحادية والثلاثين ...

كان اليابانيون يطاردوننا ، وكنا نلوذ منهم بالتلال ، كأننا وحوش مطاردة ، وزاد في قلقي ان ديانا اصيبت بالملاريا ، وكانت تنقصنـــا العناية الطبية اللازمة ، فدفعني اليأس الى الفرار بها الى ما نلا حيث تكرم احد الاميركيين من اقارب والد ابنتي بايوائنا ...

ولن انسى ما عشت تلك الاشهر العصيبة التي عشناها في التلال ، والتي عانيناقيها من عنف اليابانيين وقسوتهم ما ملأ نفسي حقداً عليهم وبغضاً لهم ... ولعل هذا الحقد هو الذي دفعني ذات يوم ، من حيث لا ادري ، الى التفكير في محاولة التجسس عليهم واستقصاء اخبارهم لمصلحة بني قومي الاميركيين .

وكانت خطتي التي عقدت عليها العزم هي ان انشىء ناديا ليليــا على الشاطىء ، فاتجسس منه اخبار اعدائي اليابانيين ، واراقب حركات سفنهم

وقواتهم ، واظفر بالانباء من الضباط اليابانيين الذين يترددون على حانتي ولم اعبأ بما قيل لي من بطشهم ، ومن احتمال القاء القبض علي واعدامي ...

واطلقت على نفسي اسما جديدا : مدام دوت ، ودعوت « حانتي نادي تسوباكي» وادركت ان كل ذلك لم يثر شبهة اليـــابانيين فازددت احتقاراً لحذقهم ونظامهم ،ويبدو ان مما اعانني على النجاح اني سمراء اللون سوداء الشعر ، ولعلهم حسبوني ايطالية المولد او زوجة لاحد اهالي الفلبين ...

وكان دوري في الحانة دورالمغنية والمديرة.

كنت اغني للسكارى من الضباط وكبار الموظفين اليابانيين بصوتي الاجش الذي لم يخلق للغنـــاء اغاني الحب الحزينة ... وهي اغان كنت احفظها من ايام المدرسة الثانوية ، وكانت تعجب كبار ضبــاط الجيش والاسطول الى حد بعيد ...

وكان معنى اسم النادي تسوباكي : زهرة الكاميليا ، وهي كلمة ترضي اليابانيين ، لانها تعني عندهم كل ما هو رقيق وناعم وعسير المنال ... وكانت مساعدتي الفيليبينية فلي كوكوارا ـــ ممثلة النادي الاولى ـــ تعرف غرضي وطالما اعانتني عليه ، وانقذت حياتي بشهامتها وشجاعتها ...

ولو رأتني أمي يومئذ لدقت كفا بكف ولم تصدق عينيها ... كنت اقف عند المدخل وكلما اقبل ضابط ياباني احنيت له رأسي وانا اقول كومبارا وهي تحية مهذبة كقولك طاب ليلك ، ثم اقوده الى مائدته ، فيختار هو من تقوم على خدمته ، من فتيات الحانة ، فتصب له البيرة في كأسه ،وتشعل سيكارته ، وتبتسم له ، وتعابثه ... ثم يبدأ العرض ، فترقص مساعدتي ، او تغني ثم اغني بدوري ، وقد ارقص رقصة المشاعل عارية او شبه عارية ، ثم يأتي دور فتيان وفتيات من اهل الفلبين يرقصون الرقص الوطني الذي يحبه اليابانيون ...

وكانت الخمر تدفع ببعض زبائننا العظام الى تصرفات همجية ، وتغريهم بي او ببعض بنات الخدمة ، فاذا قلنا لهم ان هذا ليس مكان ما يبتغون ، لطمونا على وجوهنا ، وقد يحطمون الزجاجات والكؤوس على الارض ويخرجون دون ان يدفعوا شيئاً ، بل حدث في احدى المرات ان ضابطاً فظا كسر زجاجة البيرة على رأس احدى فتياتي .

ولما ايقنت بثقة زواري اليابانيين بي بدأت عملي ، فاتصلت بقائد حرب العصابات الامريكي في منطقة باتان ، وبدأت ازوده بالانباء والمعلومات التي أقف عليها اول باول ، وكانت الانباء التي انقلها يكني عنها باسماء الاطعمة ، فاذا كانت هامة كتب الي :

« الفول شهي الطعم » واذا كانت تافهة كتب الي : « فسد الكرنب عندما وصل » .

واعتقد انني اسديت الى قواتنا ايادي جمة في كل ما يتعلق بتحركات السفن اليابانية والجهات التي تقصدها قواتهم في الداخل .

وفي احدى الليالي اقبل على حانتي ضابط بحري ، وكان ربانا لاحدى سفن الصليب الاحمر ، وشرب حتى ثمل ، وقال لي فيما قال انه وصل لساعته من جزيرة بوجنفيل مع جيوش كثيرة ..

سألته: هل جرحت ؟

فأجاب وهو يضحك انه لم يجرح لانه اجتاز البحر في بواخر الصليب الاحمر ، واضاف قائلا : ان الاميركيين الاغبياء لا بد ان يسمحوا بالمرور لسفينة الصليب الاحمر دون ان تمس بسوء ...

وفي تلك الليلة ارسلت الى قواتنا في التلال ان اليابانيين استعملوا سفن المستشفيات لنقل الجيوش ...

وفي ليلة اخرى جلست مع احد الضباط اليابانيين ــ وكان قائداً لحاملة

طائرات ، وكنت اعرف انه يحب الاستماع الى غناء مساعدتي ــ ثم اقبلت « فلي » نفسها بعد ان انتهت من غنائها وحيته تحية لطيفة ثم سألته في عدم اكتراث عن موعد رحيله ...

قال : الليلة

قالت : وما عنوانك الجديد ؟

فسألته والخمر ترنحه :

ــ ولماذا تسألين ؟

قالت وهي تطوق عنقه بذراعيها :

ــ لاكتب اليك .

قال اني ذاهب الى سنغافورة ، ثم الى رابول ..

وبادرت انا بارسال هذه الانباء ...

وبعد ذلك باشهر حضر بعض الضباط الذين كانوا معه ، فقال لمساعدتي محزوناً :

ــ لقد هلك حبيبك وكثير ممن كان في السفينة .

فذرفت عليهم قليلاً من دموع التماسيح .

ومن الحوادث التي لا انساها ان قائد احد اساطيل الغواصات الصغيرة اعجب بي ذات ليلة فطلب الي ان ارقص . ولكني قلت له : « عد غدا في الليل» . وضعت مروحتين من الخيزران المشقوق والورق الرقيق ،وخاطت مساعدتي ثوباً للرقص لونه كلون اللحم ، واعددت ضوءاً احمر ، خابياً ، ليضيء ساحة الرقص ، وجاء القائد وفي صحبته اربعون ضابطاً ، واقسم ان ابصارهم كادت تعشى من شدة تحديقهم ليتبينوا اكنت عارية ام لا ..وكان قد قال لي : « ارقصي الليلة رقصاً مثيراً ، فنحن سنبحر فجر الغد الى جزائر سليمان » ونجحت في الرقص المثير نجاحاً عظيماً، وارسلت الخبر الهام الى التلال.

وبعد ذلك بأشهر جاء احد الضباط واخبرني انه احد الباقين على قيد الحياة من الاسطول الصغير . ومرة اخرى ذرفنا بعض دموع التماسيح .

ومرت الايام ، ثم اقبل صباح يوم من ايام ايار ١٩٤٤ فدخل غرفتي اربعة من رجال الشرطة اليابانيين ، فوثبت واقفة ، وسدد اثنان منهم مسدسيهما الى ضلوعي .

وصاح احدهما بي في حقد :

ــ قفي ايتها الجاسوسية .

وارتعدت ، ودق قلبي ، وجف حلقي حتى لم استطع ان ابتلع لعابي ، فقد كنت اعلم علم اليقين ان الجواسيس يرمون بالنار او تقطع رؤوسهم .

وعصب الرجال الاربعة عيني وساقوني الى السجن ، وبدأ التحقيق في الصباح وانا لا ازال معصوبة العينين .

وفهمت ان احد خطاباتي وقع في ايديهم ، والحق ان الصوت الذي كان يستجوبني جعل يقرأ خطاباً كنت قد ارسلته لرجالنا ، ثم قال لي ان الفتاة الفلبينية التي كانت تحمله قد قبض عليها .

وكان التحقيق فظيعــــاً ، فقد ضربت وركلت ، وتداولتني الايدي والاقدام ، ثم مددت وربطت يداي ورجلاي ربطاً محكما ، وفجأة وضع في فمي وانفي خرطوم من خراطيم الحدائق . وهذا هو « التعذيب بالماء » وهو كالغرق ، الا انه اشد هولا .. ثم بدأوا يضغطون سجائر مشتعلة في فخذي وفقدت وعيي مرات عديدة. فلماعدت الى رشدي كفوا عن التحقيق ، وتركوني وحدي بعد ان رفعوا العصابة عن عيني .

وقضيت في غرفة السجن ثلاثة اشهر ، وكانوا يعطونني كل يوم ثلاثة اقداح من الماء وقدحاً واحداً من الارز ، فدب في جسمي الضعف لقـــلة الغذاء وذاب لحمي ، وعلتني القذارة والقمل واحدثت السجائر المشعـــلة في

جسمي قروحاً وندوباً ساحملها معي الى قبري .

وبعد انقضاء تلك الفترة دعيت ذات فجر الى المحاكمة النهائية ، ووجه المحقق الياباني وهو يستقبلني ألوانا من السباب . ثم بدأت عمليـــة التعذيب جديداً . وضعوا طرف مسمار تحت ظفر اصبعي ، واخذوا يدقونه بمطرقة. اي الم فادح . لقد اطار عقلي شعاعاً . فلما افقت رأيت ضابطاً يابانيا يلمع سيفه ، وامرني ان اركع وشعرت بحد السيف على عنقي .

قال : صلي لربك، فقد دنت ساعتك ! وسقطت على وجهي مغشياً علي .

وصدر الحكم في اليوم التالي باطلاق الرصاص علي بتهمة الجاسوسية .

وكنت اقول لنفسي كل ليلة وانامستلقية على ارض الحجرة في السجن: الليلة يعدمونني .

ثم اقبل يوم ١٠ شباط من عام ١٩٤٥ حين دخل علينا الفتيان الاميركيون بخوذاتهم وخرجت حافية القدمين ، في ثيابي الرثة الممزقة .. ولكني كنت سعيده بحريتي .. وبأملي ان اعود فأرى ابنتي ووطني ..

لقاء في حديقة مهجورة

لم يكن المام اليس شايتون باللغة الاسبانية وباساليب الحياة الاسبانية هو كل ما رشحها لدى رجال المخابرات البريطانية ، وانما حفزهم للاستعانة بها ، درايتها ببعض اساليب الجاسوسية النازية في كتابة وتبادل الرسائل السرية التي يضمنونها تقاريرهم الخطيرة .. اذ كانت لها صديقة برلينية تدعى فيرا روزر ، التحقت بعد الدراسة الثانوية بمدرسة الجاسوسية النـــازية ، في معهد كلابستوك بهمبورغ ، وهي المدرسة التي خرجت دهـاة الجواسيس الالمان ..

وكانت فيرا حريصة على اسرار دراستها ــ رغم صداقتها لأليس ــ ولكنها لم تجد حرجاً في ان تطلع اليس ــ خـلال مقابلتهما ــ على بعض اساليب كتابة الرسائل السرية ، كلون من الوان التسلية .. فأثار ذلك فضول الفتاة ، وحفزها على السعي للاستزادة من هذه الاساليب ..

وفي ذات مرة ، نسيت فيرا لديها كراسة صغيرة ، تضمنت شرحـــاً لانواع المداد السري التي يستعملها جواسيس النازي ، والتحليل الكيماوي لكل منها ، واستطاعت اليس ان تنقل محتويات هذه الكراسة قبل ان تفطن صاحبتها لغيابهـا ، او تشعر بتصرفها .. وما لبثت اليس ان نسيتها

حتى التحقت بخدمة المخابرات فتذكرتها وقدمتها كأول هدية قيمة نافعة منها . وفعلا ، اعانت الكراسة رجال المخابرات البريطانية على كشف اسرار الكثير من رسائل الجواسيس النازيين ، في بداية الحرب .

والحقت اليس بمدرسة المخابرات البريطانية ، حتى اذا اتمت دراستها ، عينت كمدرسة بها ولم يفكر رؤساؤها في ايفادها لمهمة خارج بريطانيا ، الا يوم صادفتهم المشكلة التي تدور حولها هذه القصة .. فكانت مغامرتها الاولى .. والاخيرة .

ففي عنفوان انتصارات الالمان وتأهبهم لغزو بريطانيا ، دعاها احد رؤسائها ، وقال لها :

ـ ستحملك الى مدريد طائرة مدنية خالية من العلامات ، فتهبط بك في مطار سري خاص حيث يقابلك عميلنا «١ ـ ٢٤» فيسلمك التعليمات ..

وسافرت اليس في الليلة نفسها وهي تجهل مهمتها كما تقضي اصول مهنتها .. وما ان التقت بالعميل « ١ ـ ٢٤ » ، حتى ارتدت الطائرة الى قاعدتها .. وكان العميل متنكراً في زي سائق سيارة عامة استقلتها اليس .. وقال لها وهما في الطريق :

ـ سأذهب بك الى الفندق ، حيث حجزت لك الغرفة رقم ٩٨ ، فامكثي بها حتى تصل اليك التعليمات ..

ووصلت اليس الى الفندق ، ولزمت غرفتها ، وان هي الا عشر دقائق ، حتى فتح الباب الذي يفصلها عن الغرفة المجاورة ودخل عليها رجل أشيب مهيب الطلعة ، قدم اليها نفسه ، فعرفت انه من زملائها .. وافهمها مهمتها .. ثم سلمها ثلاث صور فوتوغرافية ، وانصرف ..

وفي صباح اليوم التالي ارتدت اليس ثيابا سوداء بالية ، وابدلت من هيئتها ، حتى بدت في صورة حزينة بائسة تستثير الشفقة والرثاء .. وسارت

تتظاهر بالتسكع في الطرقات، حتى بلغت حديقةنائية تكاد تكون مهجورة لقلة روادها ، فجلست على احد مقاعدها الحجرية ، وراحت تجول بعينيها فيما حولها في قلق ، ، وكأنها تترقب مقدم انسان ..

وما لبثت ان لمحت شخصاً يقبل في اتجاهها ، فلمعت عيـــناها تحفزاً ، واخرجت من طيات ثوبها الصور الفوتوغرافية الثلاث ، فتفحصتها في عناية وسرعة ، ثم ردتها الى مخبئها ، واندفعت تبكي وتنشج في البكاء ..

وبلغ القادم مقعدها ..

كان شاباً شاحب الوجه ، غائر العينين، مشعث الشعر ، مهدل الثياب.. يتجلى على ملامحه انه يعاني آلام نكبة قاسية .

واستوقفه بكاء الفتاة ، فتقدم اليها في حيـــاء وتردد ، وراح يحاول ان يسري عنها باللغة الاسبانية ، التي درستها في مدرسة المخابرات البريطانية ..

وهدأت الفتاة اخيراً ، واطمأنت الى مواسيها فشرعت تحدثه عن نفسها زاعمة انها قروية اسبانية تدعى روزالي منديكا.. ماتت امها ، ولحق بها ابوها، فتركاها بلا عائل او مال ، مما دفعها ان تنزح الى مدريد سعياً وراء القوت.. ولكن سبل العمل اوصدت في وجهها ، وتكاثر حولها ذئاب المدينـــة .. فلاذت بهذه الحديقة ، تتدبر طريقاً للخلاص ..

وعرفها الفتى بنفسه . كان يدعى انطونيو ماريبالدي .. وكان يدرس التصوير في جامعة مدريد ..

وانتهى اللقاء بتفاهم بين القروية الحسناء والمصور الشاب .. فلما دعاها لأن تشاطره مسكنه ، لم تتردد طويلا ..

على ان الشاب كان في الحقيقة جاسوساً المانياً ، يتلقى الرسائل من عميل نازي بلندن ، فيرسلها بدوره الى برلين ، ويتلقى تعليمات برلين ليبعث بها الى لندن .

وكان رجال المخابرات البريطانية يعرفون ذلك ولكنهم عجزوا عن ان يجدوا في الرسائل المتبادلة ما يدعم شكوكهم .. كانت كلها شخصية تشرح الشوق والمحبة وتهدي السلام والتحيات . وليس من بين الفاظها ما يريب ، ولا في طريقة كتابتها ما يوحي بحيلة من حيل الجاسوسية .. ومن ثم كان اختيار اليس شايتون لهذه المهمة الخطيرة ..

وعاشت اليس اياماً في بيت انطونيو ماريالدي .. كان يتركها طوال النهار بحجة الدراسة في الجامعة .. فلا يعود الا في المساء ليصحبها في نزهة تستغرق معظم الليل .. فقدغدا حبها حباً شديداًوتظاهرت بانها تبادله عاطفته الحاره المتأججه ..

وطالت اقامة اليس في منزل الجاسوس الالماني حتى كادت العلاقـــة المستمرة بينهما تنقلب الى حب حقيقي ..

ولم تعثر اليس في المنزل على ما يثير الشبهة ، اللهم الا مجهراً زعم الشاب انه ابتاعه ليرضي هوايته لفحص الجراثيم،ولو لا انه لم يكن يجدالفراغ الكافي .

على ان الفتاة لم تقنع بهذا التعليل ، وان لم تخرج من ابحاثها وتحرياتها بنتيجة تدعم ظنونها ..

وخدمتها المصادفة ذات يوم .. كانت تعبث بالمجهر .. وكانت الى جواره احدى الرسائل الشخصية التي كان الشاب يتلقاها من يوم الى آخر ، والتي كلفت بكشف سرها . وخطر لها ان تتبين تأثير عدسات المنظار على حجم حروف الرسالة . ولكنها لم تكد تتطلع خـــلال العدسات ، حتى شهقت مأخوذة ، ثم صاحت في فرح وانفعال : لقد كشفت السر الخطير .. سر الرسائل الودية ..

كان السر يتركز في ثلاث نقط سوداء ، مما يوضع عادة في نهـــايات العبارات . والفت اليس ان هذه النقط الثلاث ، تتضمن رساله لا يمكن

قراءتها الا تحت المجهر .. وقد جاء فيها ، باللغة الالمانية طبعاً :

نمي الينا ان خبراء الجيش البريطاني يصنعون الآن في لندن بارود الطلقات المدافع يمتاز بقلة دخانه ، وضعف نار اشتعاله. نريد تفاصيل تركيب البارود ومكان صنعه وميدان تجربته » .

وأدركت أليس سر النقط. كانت الرسالة تكتب اولا على ورقة مستديرة ثم تصور بآلة متناهية الدقة ، حتى يتضاءل حجمها الى حجم طابع البريد .. ومرة اخرى ، يعاد تصويرها خلال ميكروسكوب مقلوب فتصبح نقطة لا تكاد ترى ، ثم تلصق في سياق الرسائل البريئة متناثرة بين جملها .. فلا يمكن قراءة ما تحتويه الا تحت الميكروسكوب .

واسرعت أليس بالسر الخطير الى زميلها في الفندق ، فسألته ان يبادر بابلاغه الى لندن . وكان لزاماً عليها بعد ذلك ان تعود الى سكن انطونيو حتى لا يثير اختفاؤها شكوكه وعادت .. ولكنها لم تكد تلج المسكن حتى الفت ثلاثة رجال عمالقة في انتظارها .. ونهضوا لاستقبالها ..

ــ مرحبا باليس شايتون .. لقد قبضنا على صاحبك « ١ — ٢٤ » ، فاعترف باعماله ، وارشدنا اليك ..

واقتادوها الى مصيرها .. فقد حملتها طائرة الى برلين حيث اعدمت ، دون ان يفطن رجال الغستابو الى انها كشفت قبل موتها سر النقط السوداء وارشدت لندن اليه ..

الجاسوسة والتاجر الهندي

كان الهدوء يرفرف على فندق السلام ، وقد استلقي في دعة وسط المروج النامية في احد اطراف باريس ..

وكان الوقت مبكراً ، حين دلف دورلانج ـــ صاحب الفندق ـــ الى البهو ، فتفقد النشاط الذي كان يبديه الخدم ، ثم دلف الى مكتبه ، فتناول سجل النزلاء ، وراح يراجع الأسماء المسجلة فيه ، حتى استقر بصره على اسمين كان كل حرف منهما ينطق بانهما المانيان .. هينرز اوربس وهوف اوربس .. ابنا عم من تجار برلين ..

واسترجع دورلانج في ذاكرته صورة الرجلين حين وفدا على الفندق في الليلة السالفة .. كانا متقدمين في السن .. وكان اول ما حرصا عليه ، هو ان يظهرا بمظهر ذوي البذخ والسعة .. فما ان هبطا الفندق ، حتى طلبا الى صاحبه ان يفرد لهما اجمل غرفة ، قائلين انهما لا يضنان بمال في سبيل راحتهما ، وانهما قد يقضيان عاماً في باريس ، فاذا شاء صاحب الفندق ان يحتفظ بهما في فندقه ، فليعمل على توفير اسباب الراحة لهما ..

واذ بلغ دورلانج هذه المرحلة من ذكرى الرجلين ، دق الجرس ، وسأل الخادم الذي وافاه عن النزيلين الالمانيين .. ولكنهما كانا لا يزالان في مخدعيهما ..

وعاد دورلانج يسترسل في افكاره .. كانت الحرب في عنفوانها ، وقد اجتاح الالمان اوربا كلها .. وكانت لهم اليد العليا على باريس ، فكان عليه — ككل فرنسي — ان يصانع النزلاء الالمان الذين يفدون على فندقه ، سواء كانوا عسكريين او مدنيين ..

على ان ذلك لم يحل دون ان يفكر دورلانج ، بينه وبين نفسه ، في ان ضيفي الليلة السالفة كانا كاذبين فيما زعماه من انهما تاجران .. فما هما الا من رجال الغستابو ..

وقطع عليه حبل التفكير ، رنين جرس انبعث من غرفة النزيلين ، فخف بنفسه لخدمتهما وبادره هوف قائلا :

— هل لك ان ترشدنا الى حلاق ماهر — احسن حلاق .. انك تعرف اننا ننشد خير خدمة ، قبل ان نعنى بتعرف الاجر ..

وقال دورلانج في احترام :

— اذن ، فعليكما بصالون تيوفيل .. انه قريب من الفندق .. وهو اشهر حلاقي باريس ..

ولم يكن الفندقي مبالغاً ، فقد كان صالون تيوفيل مقصد سراة باريس وعظمائها ، لا لمهارة صاحبه واعوانه فحسب ، وانما .. لفتنة ابنة الرجل ، التي كانت تجالس العملاء وتسامرهم ريثما تحين ادوارهم ..

وعلى مقربة من كنيسة سانت جنفييف — على هضبة سان هيلير — وجد هوف الصالون .. ووجد فورتينيه الحسناء جالسة الى الخزانة ، فما ان رآها ، حتى بهره جمالها ..

وكان غرام من اول نظرة.. واستجابت الفاتنة اللعوب، لداعي الهوى.. ومن ثم راح هوف يكثر من التردد على الصالون ، لدرجة استثارت اهتمام صانع اقفال متواضع — من جيران تيوفيل — فراح يراقب الالماني المدله..

وبعد ظهر ذات يوم ، وقد خلا الصالون من الرواد في فترة القيلولة ، لمح صانع الاقفال هوف يدلف الى المكان ..فجثم في حانوته يترقب خروجه ولكن الالماني لم يغادر المحل .. واقبل عملاء وانصرف عملاء .. ودب النشاط في الصالون ، حتى اذا جن الليل ، خفت الحركة فيه ، وبدأ العمال ينصرفون تباعاً ثم غادر تيوفيل وابنتــه الصالون ، بعد ان اغلق ابوابه ، ولما يبد للالماني اثر ..

واسترعى الامر فضول صانع الاقفال .. ولكن الغموض الذي شغله لم يلبث ان تبدد في الصباح ، حين قصد الى حانوته، فالفى صالون تيوفيل محاصراً بالبوليس ..

وعلم ان جثة هوف الذي ابلغ ابن عمه السلطات نبأ تغيبه حتى ساعة متأخرة من الليل — وجدت داخل الصالون .. لا ، بل في سرداب كبير تحته، وجدت فيه رمم وهياكل عظمية عديدة ..

وأسفر التحقيق عن ان تيوفيل وفورتينيه كانا من افراد حركة المقاومة السرية ، وكانا يستدرجان الالمان الى صالونهما ، فلا تزال الفتاة تغريهم حتى توقعهم في سحرها .. وفي السرداب كانت تتعــاون مع ابيها على صوغ خاتمة حياة صرعى هواها ..

ولكن السلطات لم تعثر للحلاق وابنته على اثر .. فما ان اشتما الخطر ،حتى بادرا الى الفرار، فرحلا الى شاطىء فرنسا الشمالي ، ثم اجتازا المانش خلسة .

وعلى الشاطىء الانكليزي اسلم تيوفيل آخر انفــاسه ، بعد ان خاض المغامرة حتى نهايتها .. وترك فورتينيه وحدها .. فاتصلت بادارة المخابرات السرية البريطانية فما لبثت جهودها في حركة المقاومة السرية الفرنسية ، ان رشحتها لان تشغل صفحة في سجلات هذه الادارة ،تحت الحرفين «ن.ب.».. وهو الرمز الذي اطلق عليها ..

كانت اول مغامراتها في حياتها الجديدة ، ان عهد اليها بمراقبة ثلاثة من الهنود ، كانوا يديرون متجرا لبيع اجهزة الراديو في لندن ..

وانتقت الفتاة رشيد راجا ــ احد الشبان الثلاثة ــ فسعت للتعرف به ، زاعمة انها فقيرة يتيمة تعمل في مشرب للشاي ، وقد التحقت فعــلا بخدمته استكمالا لخطتها ..

واعجب الشاب بها .. ثم انقلب الاعجاب هياماً .. حتى اذا اطمأن الى انها تبــادله حباً بحب ، شرع يضرب على وتر كان فيه هلاكه .. اذ ابدى لها رغبته في الزواج منها، لولا حاجته الى المال كي يعد لها حياة رغدة.. وافهمها ان طريق ثرائها ميسر لو انها استطاعت ان تستدرج ضابطاً معيناً من ضباط البحرية الذين يترددون على مشرب الشاي لتحصل منه على بعض المعلومات عن عددغواصات بريطانيا، وقطع اسطولها الاحتياطي ، ومستودع ذخائر البحرية ، ومراكز مخابراتها اللاسلكية ..

وتظاهرت الفتاة بالرغبة في التعاون مع عاشقها في اعداد حياتها المستقبلة.. وغابت ثلاثة ايام ، ثم عادت اليه بالمعلومــات الكاذبــة التي اوحى بها اليها رؤساؤها ..

وما ان تخيل الشاب الهندي انها وفقت في المهمة ، حتى طار فرحاً ، وسارع وشريكاه الى اغلاق متجرهم من الداخل ، ثم صحبوها الى غرفة سرية في الطرف الخلفي من المتجر ، اقاموا فيها جهازا لاسلكيــاً للارسال ، فبادروا الى ابلاغ برلين نتيجة ابحاث فرتينيه ...

وفي اليوم التالي ، كان الهنود الثلاثــة في ايدي السلطات ، والفرنسية الحسناء تستمتع بأول انتصاراتها في انكلترا .

وتوالت انتصاراتها . وفي ذات يوم ، عهد اليها بالتنكر في زي زعيمات فرق المرشدات الكشفية ، لمرافقة اسبانية من اعضاء حركة الفالانج ، انتدبته

حكومـــة اسبانيا لدراسة النظم الكشفية في انكلترا . واذنت له السلطات الانكليزية ، وهي تشك في انه جاسوس يعمل لحساب الالمان .

ودبرت فورتينيه خطتها ببراعة فذة . فأعدت للرجل استقبالاً رائعـــاً أشركت فيه بعض فرق الكشافة والمرشدات . واحتجزت له جناحاً فخما في فندق اتينوم كورت وبث بعض رجال المخابرات السرية في اركانه مكبرات للصوت دقيقه ، اقاموها في اماكن خفية ، لتحمل اليهم في ناحية اخرى من الفندق ما يدور في غرف الجناح .

وكانت في لندن اذ ذاك ثلاث بطاريات للمدافـع المضادة للطائرات ، فأشارت فورتينيه بنقل إحداها الى حديقة عامة في مواجهة الفندق ، على ان تدبر في كل ليلة غارة جوية، تطلق البطارية خلالها قنابلهاعلى طائرات وهمية، وكانت هذه الخطة كفيلة بان توهم الجاسوس بان المدافع المطادة للطائرات تملأ جنبات لندن ، متربصة لطائرات الالمان .

وكانت الخطوة الثانية ، ان نظمت الفتاة لضيفها عرضـــاً كشفياً الى جوار قصر وندسور . ولكن الضيف لم يعن بالعرض ، بقدر ما عني بمنظر آخر أعد عمداً . فقد عسكرت حول القصر ، الفرقـة الوحيدة التي اكتمل تسلحها من فرق الجيش البريطاني الباقية في انكلترا . وهال الضيف عددها، وعتادها ، ودباباتها الضخمة، فسأل مرافقتة عنها. واجابته فورتينيه ببساطة :

ــ هذه فرقة صغيرة من حرس الملك الخاص ، اعفيناها من الدفاع عن الجزيرة لتحمي حياة مليكنا .

وهكذا تعمدت السلطات ــ بمساعدة فورتينيه ــ ان تزيف حقيقـــة الاحوال في انكلترا. وصحبته الفتاة الى ميناء حشد فيها كل ما بقي في مياه الجزيرة من قطع الاسطول وزعمت انها بعض وحدات احتياطية للدفاع عن الميناء . ورافقته في طائرة الى اسكتلندا ومع ان السلاح الجوي البريطاني

لم يكن يحتفـــظ في انكلترا اذ ذاك الا بعدد بسيط مـــن طائرات هاريكين وسبيتفاير ، الا ان سرباً من هذه الطائرات راح يعترض الطائرة التي استقلاها بين آن وآخر ، موهماً الاسباني انه اسراب متلاحقة ، تفد من كل اتجاه .

وخدع الجاسوس الاسباني . وانهالت تقاريرة عـلى برلين ، توحي بأن انـكلترا مسلحة اتم تسليح ، وما الاشاعات المتواترة عن ضعفها الاحيلة ماكرة لاغراء الالمان علىغزو الجزيرة حيث يلقون اشنع الانكسارات ..

وتردد الالمان في غزو انـكلترا.. فأعد الحلفاء حملتهم لغزو اوربا .. واوفدتفورتينيه الى فرنسا في طليعة الغزاة ..

الجاسوسة ايفا موللر

في العالم ١٩٠١ ولدت « ايفا موللر » من موظف الماني ابى ان يغادر بلاد الالزاس مع من غادرها من ابناء قومه بعد هزيمة المانيا في العام ١٩١٨ بل ظل مقيما بها ، وظل يشغل وظيفته بعد ان عادت الالزاس الى الفرنسيين ولم يقف حظه عند هذا الحد بل واتاه ايضاً ، فعين ابنته سكرتيرة خاصة لدى موظف فرنسي كبير في الادارة الفرنسية يدعى م . ب . كان يشغل في تلك الحقبة من الزمان ، وظيفة عاليةفي مديرية البوليس في« ستراسبورغ»

وما لبث م . ب . ذو الاربعين من الاعوام ، وذو الزوجة الجميلة والعيلة الكبيرة ان وقع قتيل هوى «ايفا موللر» سكرتيرته الخاصة ، تلك الفتاة التي لم تحمل من الجمال سوى طراوة العدو ، وسلامة الجسم ، وصفاء اللون واشراقه وشعر اشقر كثيف ، وعينين ذهبيتين فيهما فتنة واغراء ..

وكانت « ايفا موللر » المانية ملتهبة العاطفة والجسد فما طال بها الزمان حتى استجابت لنداء عاطفتها وجسدها ، ولبت نداء رئيسها ورغبته فارتمت بين ذراعيه وطاب لها ان تكون خليلته ! ..

ولم تكن عين الجاسوسيةالالمانيةلتنام وعلى رأسها الكولونيل«نيقولاي» فأبت ان تفوتها الفرصة ، ورأت ان تفيد من وضع « ايفا » ما استطاعت

الى الافادة سبيلًا ، فاوفدت احد رجالها في برلين يحمل الى والدها اوامر وتعليمات معينة ، ويأمره ان يدل ابنته على الطريق التي ينبغي لها ان تسلكها لتنفيذها ..

ولم يفكر والد « ايفا » في ان يعترض على « مندوب » برلين ، او يثور لكرامته ، او ينضب لتطفل برلين والتدخل فيما لا يعنيها من حياته الخاصة وحياة ابنته .

فالالماني تعود الخضوع والاستسلام لكل ما يأتيه من فوق ، وقد اطاع ابو السكرتيرة العاشقة صاغراً ، وراح ينذر ابنته بما انذرته به برلين وما ارادته من مراقبة رئيسها م . ب . مراقبة شديدة واحصاء كل حركاته وسكناته واقواله ، وسرقة كل ما تصل اليه يدها من تعليمات ووثائق سرية !..

وما كادت ايفا تسمع هذا الكلام حتى رأت من الشهامة ان تطلع من تهوى ومن اباحت له روحها وجسدها ، على ما تضمره له برلين ، وهرولت اليه تسأله الرأي والتدبير فيما عساها ان تفعل بعد هذه الاوامر التي تلقتها : اترفضها رفضاً باتاً ، ام تخادع برلين وتزودها باخبار وتعليمات لا اساس لها من الصحة ؟ ! ..

وفي هذه الاثناء كان م . ب . يتخلى عن منصبه في مديرية البوليس ليتولى ادارة احدى المؤسسات الخاصة فلحقت به « ايفا » الى منصبه الجديد واذ اخفق فيه اخفاقاً تاماً قرر ان يغادر « ستراسبورغ » سراً ويهجر زوجته واولاده و .. خليلته ايضاً ! .. فلا يدري بمصيره احد ! ..

وجن جنون « ايفا » وقضت اياماً وليالي طويلة في نواح وبكاء لا تنضب لها دمعة ولا يغمض لها جفن ، فكانت طوال اسابيع ، تعترض سبيل موظفي شارع « فويه بلو » الذين عرفتهم ، وكل من عرف عاشقها عن قرب او عن بعد ، فتتوسل اليهم تارة وتتهددهم اخرى ليرشدوها الى مقر حبيبها ..

فذهبت كل محاولتها ادراج الرياح ! ..

وفي نهاية العام ١٩٢١ اختفت «ايفا مولر» من ستراسبورغ كما اختفى من قبل ، عاشقها م . ب . وظلت مختفية لا يدري الناس من امرها شيئاً ، من شهر كانون الاول سنة ١٩٢١ حتى الثلاثين من شهر حزيران سنــة ١٩٣٥ اذ شوهدت اتفاقاً في « فارسوفيا » عاصمة بولونيا ، وكانت لا تزال تلك المرأة الشقراء التي لم يكن وجهها ليفقد الكثير من طراوته ونضارته لو عالجته بالمحسنات التي تعرفها كل امرأة !

ولقد كان ذا نظر ثاقب دقيق ذلك الذي عرف عشيقة ستراسبورغ بعد تلك السنوات الطويلة التي مرت ، وبعد ان صارت خادمــة في مطبخ الكولونيل « بيك » وزير خارجية بولونيا ! ..

وماذا تفعل « ايفا مولر» في فارسوفيا بذلك الهندام المهمل الذي لا يخفي على عين البصير حقيقتها ، فشعرها الاشقر ، وعيناها الذهبيتان وقسماتها التي سمنت قليلاً مازالت هي هي ! ..

وماذا تفعل عند الكولونيل « بيك » بالذات ، ذلك الرجل الذي كان يبتسم للفرنسيين ، وينازل البريطانيين ، بينا هو في الوقت نفسه يخطب ود هتلر ويسترضيه ؟ !..

وكان لا بد لدوائر الاستخبارات البولونية من تحقيق طويل شاق دام حوالي ثلاث سنوات ، للتثبت من حقيقة « ايفا مولر » وحقيقة ما كانت تفعله في فارسوفيا وعند الكولونيل « بيك » فاذا هي ملحقة رسمياً بدوائر الاستخبارات الالمانية ، ورئيسة احدى فرق الجواسيس التي جردتها المانيا للتجسس على بولونيا ..

وكان يبدو على ايفا التي نسيت حب م . ب . ونواحها وبكاءها عليه حين فقدته ، انها تحب الحب كله الهرشنيدوبير ، فوهرر المكتب الثالث

الذي كان يأتي الى «دنتزيغ» كل شهر، ليلتقيها ويقضيا معاً اربعة ايام بلياليها..

وكانت ايفا اذا ما قدمت « دنتزيغ » قدمتها ذات اطمار ، مشعثة الشعر لا مساحيق على وجهها ، فتذهب اول ما تذهب الى بيت في «بوستنستراس » يؤدي احد ابوابه الى « لانغاس » فكانت تدخـــل في « بوستنستراس » خـــادمة تافهة لا تلفت النظر ولا تملأ العين ، لتخرج من « لانغاس » بعد ساعتين ، وقد انقلبت الى امرأة انيقـــة ترتدي آخر زي من ازياء باريس فتتوجه الى فندق برلين حيث ينتظرها فوهررها ومعه في احيان كثيرة ، رجل صغير وهو ذو شاربين اشهبين ، تعرفه خير معرفة جميع مصـــالح الجاسوسية الاجنبية التي تهتم اهتماماً خاصاً بالمانيا ..

ولقد كان من اخطاء ايفا مولار الفاضحة ان تنقلب من حال الى حال وتبدل من نفسها هذا التبديل الجذري فتصير في ساعة سيدة صالون بعد ان كانت خادمة مطبخ ، ولعلهـــا كانت تفعل كل هذا لترضي من تهوى .. فيسترعي هذا التغيير المفاجيء انظار من يطاردونها منذ شهور طويـــلة للاطلاع على دخيلة امرها وكشف النقاب عن نشاطها ، فكان ان نم الحب عليها وفضح شأنها !

وكم مرة قدمت « دنتزيغ » قبل المرة التي افتضح فيها امرها ، فاختفى اثرها عن عيون مطارديها في حال دخولها منزل « بوستنستراس » الى ان خطر للرجل الذي كان يقتفي خطواتها ، ان يكمن في زواية « لانغاس » بوستنستراس » فاذا به بعد انتظار طويل ، يشاهد والدهشة تستولي عليه ، سيدة تخرج من « لانغاس » في قسماتها وحركاتها ومشيتها ما يشبه تلك الخادمة التي يقتفي آثارها فهرول في اتجاهها ليتحقق من صدق ما رأى فاذا نظره لم يخدعه ، واذا تلك السيدة هي نفسها خادمة المطبخ التي يجدّ في اثرها ، وقد تحولت هذا التحول العجيب ، فسار وراءها حتى بلغت الفندق ..

وفي الرحلات الثلاث التالية التي عقبت هذه الرحلة كان رجال دائرة الاستخبارات البولونية قد تثبتوا من حقيقة النشاط الذي كانت تبذله هذه المرأة ، وما كانت نزهتها الشهرية العاطفية الى « دنتزيع » لتلتقي على موعد مع حبيبها « شنيدوبير » رجل الجاسوسية المعروف ، الا لتعجل في افتضاح سرها. ولولا هذه النزهـــة لظل سرها مكتوماً الى اجل اطول . وبما حمل الدوائر المقاومة للجاسوسية في بولونيا على الريبة في نشاطها المشبوه نزولها ببناية يختلف مخرجها عن مدخلها ، وتحولها العجيب في هذه البناية من خادمة مطبخ الى سيدة صالون ..

وفي ٢٠ كانون الاول من العام ١٩٣٧ تناولت ايفا موللر عشاءها في مطعم « غامبرنيوشال » مرحة طروباً ومن حولها رفاق مرحون طربون ، وما كادت تخرج من المطعم حتى انتابت معدتها اوجاع حادة عنيفة فحملت الى المستشفى حيث لفظت انفاسها في تلك الليـلة نفسها !

وشرحت جثة ايفا موللر ، وجرى التحقيق الدقيق وصمتت الجرائد عن ذكر التشريح والتحقيق ، وعن نشر خبر الحادثـة، ولم يعرف الكولونيل «بيك» أوعلى الاقل رئيس خدمه، ماذا حمل احدى خادمات مطبخه على ترك خدمته دون ان تطالب بمعاشها او تأخذ امتعتها الخاصة !

لقد عرفت امرها دوائر الاستخبارات البولونية فقضت على حياة امرأة رأت في بقائها على قيد الحياة خطراً على سلامة بولونيـــا دون ان يدري الكولونيل « بيك » ولا أي مسؤول آخر في الدولة بما جرى !

ومن المبادىء الاولية عند جميع الدول ان العسكريين الذين يحملون هذا الاسم عن جدارة واستحقاق ، لا يقفون مكتوفي الايدي اذا ما هدد البلاد خطر فيقطعون دابر هذا الخطر من ايسر الطرق ومن انجع الوسائل

دون اخذ ولا رد .. فيشطبون في لحظة ، بقلم احمر اسماً ورقماً من احد السجلات ليمنحوه الى طالبة جديدة ، وكم من الجاسوسات الصغيرات اللواتي دفعن ويدفعن حياتهن طمعاً في كسب بعض الدريهمات ، وكانت ايفا مولر الجاسوسة العاشقة احدى هؤلاء النساء الشقيات !

ان الجاسوسية والحب كالحيـاة والموت يتبع احدهما الآخر وينتظمان في سلسلة لا نهاية لها ! ..

الفهرس

التوزيع :

مكتبة الشواف

الرياض العليا - شارع الثلاثين

هاتف : ٤٦٢٢٦٦٧ / ٤٦٢٢٦٣٠